أرض
النسيان

الكاتب: عمار يحيى

رقم الإيداع: 23371 / 2018

ISBN : 978 - 977 - 798 - 034- 0

الطبعة الأولى يناير 2019

أرض النسيان

دار الحلم للنشر والتوزيع والترجمة ©

عضو اتحاد الناشرين المصريين

القاهرة - جمهورية مصر العربية

E-mail: dar_el7elm@hotmail.com

info.darel7elm@Gmail.com

Tel: 00242216335 - Mob: 00201141824562

Sales Manager Mob :00201146644959

جميع الحقوق محفوظة للناشر©

إن دار الحلم للنشر والتوزيع غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبر الآراء الوارده في هذا الكتاب عن آراء المؤلف، ولا تعبر بالضروره عن آراء الدار، كما أن جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار ولا يجوز طبع أو إعادة استخدام أي جزء من العمل في أي صوره كانت إلا بموجب موافقه خطية من الناشر..

9 789777 980340

عمار يحيى

أرض النسيان

THE LAND OF FORGETFULNESS

الحلم
للنشر و التوزيع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إهداء

إلى التي لا يوجد في دنيانا منها إلّا واحدة فكانت وحيـــًا أنـــار سبيل قلمي، ودليلًا يقود جذور أدواح الأفكار إلى قيعان غذائها من عصير الأحلام فكانت الثمار أشبه بالخيال الذي فاق الأحلام والآمال.

في أول كلمات هذا العمل _الذي أطمح أن يُضيف إلى مكتبتنا العربية_ إهداءٌ إليها، وآثرتُ ألا يعرف أحد الآن من هي، فهي دواة قلبى، أحفظها في ثرية العقل والقلب فدعوها نائمة حيث لا يراها أحد.

عمار يحيى

❁ ❁ ❁

جلس توفيق مضطربًا مرتعدًا على أحد الكراسي في حديقة عامة، عيناه تسترقان النظر إلى كل من يمر وكأنه يرى في كل روح عينًا تفتش عن الذي قام بهذه الفعلة .

بطبعه لم يكن إنسانًا عاديًا، وكأن خلايا عقله قد أُحيطت بجيوش من الغموض فجأة، هذا ليزيد غموض فكره غموضًا.

أخته كريمة، التي وجد جثتها في عمق الظلام أمام باب منزلهم القديم، لا تفارق عينيه منذ عشرة أعوام.

أمه، التي وجدها غارقة في دمائها، شبحًا لا يذيقه رائحة النوم.

من؟ ولماذا؟ وكيف؟ أسئلة تنهش في كيانه، ربما إجابة واحدة تهدئ من نيران مستعرة في أعماق أعماقه.. لكن كيف السبيل إلى إجابة؟

إن أجهزة البحث والتحقيق بما لها من طرق واستعدادات قد أعيتها الحيلة وكأن أشباحًا قد فعلتها، أرواح لم يُقبل لأحد أن يضع يده عليها، بل لم يُقبل لأحد حتى أن يتعقب لها أثرًا، لم يبق من أسرته سوى أبوه الذي أُصيب بالجنون حين عاد فرأى ما رأى.

في إحدى المصحات يزوره مرة كل شهر أو شهرين فحالته تلك تُلقي النفط على نيرانه فيؤثر أن يراه اختلاسًا كلما تسنح الفرصة أو إن شئت قل كلما يحين وقت ازدياد الآلام.

الجامعة باتت ذكريات، حتى نوره التي كانت روحًا تدفعه نحو طموح يناطح السحاب أصبحت ألمًا كلما لامس طيفها خياله الذي لم يعد سكنًا إلا لظلام ماله من نهار.

أحبته كما أحبها أو ربما أكثر، فماذا جنت إلا الانكسار على صخرة آلامه؟

لم يرها منذ سنين وهي التي لا يروق لها نهار إلا باحثة عنه، ولا ليل إلا مفكرة فيه، حتى ذبلت وردتها، وانطفأ بريقها، وعادت كل من توسل إليها أن تنساه، كلامها صار محدودًا، ونظراتها حزنًا، ومستقبلها في عداد المفقودين، هل ستراه مرة أخرى؟ هل يعود الشاب الذي ملك المفتاح الوحيد لقلبها؟ لطالما توسلت إليه أن ينسى، لكنه لا ينسى، وفي أعماقه ذاكرة مستباحة بالثأر ومستقبل غذاؤه وحش الانتقام .

السؤال الذي لن يساوم على دفع حياته مقابل معرفة جوابه.. من الذي دمر حياته؟ من الذي استباح دماء عائلته؟ وهل بذنب اقترفوه دون أن يدري؟ أم غير ذلك؟

في ذلك اليوم كان قد قرر أن يزور والد نوره – الأستاذ ممدوح، تربط به وابنته علاقة حب وصداقة قبل الأبوة، فهو صديقها المقرب لا تُخفيه شيئًا، كان هو أول من أخبرته بحبها لزميلها وهو بثقته في قوامها وأخلاقها التي يعلمها جيدًا لم يحل دون حبها، أسدى لها النصائح، وأنار لها الطريق حتى جاء الوقت الذي اتفقا فيه على أن يأتي ليتعرف على أبيها عن قرب لتكون بادئة أواصر خير لن تنتهي.

أُعجب الرجل بطموح توفيق _ الذي أوشك على إنهاء دراسته في كلية الهندسة، وتطلعه وفكره حتى أنهما صارا أصدقاء منذ اللقاء الأول، ووالدة نوره رأى فيها أمه، وكأنها عائلة قد أهداها له القدر لتصير عائلة على عائلته.

استغل هذه الفرصة الرحبة وحدثهم عن رغبته في الزواج بنوره، حدثهم عن أسرته، عن أمنيته في التقرب من تحقيق حلم زواجه بابنتهم

التي رأوا في عينيه مدى حبه لها، وهو الذي إن أردنا أن نراه بعين أسرة تريد أن تطمئن على مستقبل ابنتها – سنرى فيه خير مستقبل، شاب طموح، لا يعوزه مال، من أسرة طيبة، ومن أهم الأشياء يمتلك شقة.. تلك المشكلة التي تعد بعبعًا أمام الكثير من راغبي الزواج.

خرج في ذلك اليوم مفعمًا بالأمل والسعادة فأول حلم في حياته على عتبات التحقق، وكيف لا وقد وضع قدمًا أو ربما قدمين في جمع شمله بحبيبته وأخيرًا سيتمكن من _ إن شئنا أن نقول_ وضع إصبعه في عيني "رأفت"، ذلك الشاب المترف الذي يضايق حبيبته راغبًا في الارتباط بها وهي التي أشد ما تكره أن تراه، والذي حين باءت كل محاولاته بالفشل بدأ في إثارة الشائعات، ولطالما احتدم الصراع بينه وبين توفيق حتى كاد الأخير أن يضربه، لولا أن اجتمع الأقران في نهاية الأمر، الآن صارت أو تكاد تصير خطيبته، كلما مرت هذه الكلمة بباله وهوعائد إلى البيت، يبتسم من وجدانه قبل عينيه، وكأن الحياة لاحت له من بعيد فاتحة ذراعيها.

حتى إذا ما نزل من التاكسي على قارعة الشارع كان على موعد مع رؤية خيانة الحياة – من وجهة نظره – التي لم تمر دقائق على بسمتها له ووعدها له بأطيب ما فيها حتى يراها تنتظره عابسة قمطريرًا أمام البيت.

قدماه قادتاه حينها إلى المكان الذي طالما اتهم الراجلين إليه بالسفه وقلة العقل، حين استحكمت أمامه أبواب الأمل وانطلقت نحوه شظايا جهل الحقيقة، ذهب بروح مشوشة وقلب دهسته جرائر الموت إلى ذلك الذي لم يلقبه يوما سوى بالدجال المتلاعب بعقول الناس ملقيا في روعهم إطلاعه على المستقبل ومعرفته بأسرار تأتيه من عالم لا يطرقه سوى من سخر طارقيه، وعلم كيف يستغرق في قيعانه فيأتي منها بما استحكم غلقه وغاصت حقيقته وأصبح البحث عنه دربًا من دروب الخيال الواهم.

نعم.. انقاد خلف الرغبة في دق أي باب يرفع ستار الجهل عن تلك الحادثة.

رجل أهتم بلغ من العمر ما ليس بالقليل، أطلق شعر رأسه وذقنه، يرتدي عمامة غريبة المنظر، نظراته قادمة من عالم أشبه بالجنون، يقول

كلمات غريبة ليست من الاستيعاب في شيء، دخل عليه في ارتياب، لا خوف يصيبه ولا دهشة من هذه الأفاعيل، وكأنه معتاد على الذهاب إليه منذ أن كان طفلًا، بل كأن نظرات الاستهجان تقتحم وجه هذا الرجل الذي هان في ميزانه، منذ الوهلة الأولى كان ينتظرها منه كسائر هؤلاء، ومصداقا لانتظاره حدثت، فناداه باسمه قائلًا: "توفيق"، بصوت أجش غامض، "عايز تعرف اللي قتل أختك وأمك وجنن والدك وجاي ليَّ، مش كده؟".

أجابه دون دهشة: "أيوه".

رد الآخر: "مش واثق فيَّ، راجل بخرف، مش بالك كده؟".

نظر إليه نظرة صامتة، أخبرت عن استهجانه وعدم تصديقه، فاستطرد العجوز: "أنت زي ابني، هوصلك للحقيقة، بس شرطي تسمع كلامي.. تسمعه؟".

رد مضطرًا: "أسمعه.. معنديش حل إلا إني أسمع كلامك".

رد الآخر: "عال، عال"، وتمتم بعبارات غير مفهومة، وطلب منه أن يصغي إلى كلامه جيدًا منفذًا إياه دون جدال حتى وإن صعُب فعله، فلا مفر من التنفيذ إن أراد أن يعرف الحقيقة التي أتت به إلى هنا.

لم يكن بالشاب الخفيف الذي تُقنعه بسهولة فتمتلك عقله وتسيطر عليه، لكن ما جاء في عقله كان ترجمة لمثال مصري قديم: "خليك مع الكداب لحد باب البيت"، فأنصت إلى حديثه الذي بدأ بطلب عسير، ضيَّق صدره على ضيقه، وأشعل نيران تكذيبه لهذا الرجل الذي طلب منه بوجه رآه عار من الشفقة أن يأتيه بعقلة من أصابع أمه الميتة مُدعيًا أن هذا هو السبيل لإخباره بما دار في تلك الليلة، قام توفيق من جلسته: "أنت مجنون بتخرف"، رد الآخر متظاهرًا بكتم الغضب والشفقة: "لأ مش مجنون، أنا بدلك على الطلب اللي اتطلب مني زيي زيك، وإن مكنتش تعمله عمرك ما هتهدى، ولا هتعرف جواب أسئلتك".

خرج "توفيق" مشتت الفكر مبعثر البال، لا يدري وجهته، منذ ساعات ظن أن الدنيا قد قررت ألا تريه سوى وجه ضحوك يجمعه

بحبيبته ويفرش له جناح السعادة حتى رأى ذلك الوجه العبوس، ماذا حل به؟

انقلبت الأحوال وتغيرت الحسابات، ها هو يرى نفسه حطام إنسان جل أمانيه أن يصل إلى حقيقة الموت الذي انتهك سعادته وأتاه من حيث لا يدري.. هل يصغي لكلام ذلك الرجل الخرف؟

هل يصدق ما لم يصدقه يومًا؟ هل ينصاع فكره لهذه الخرافات؟

أسئلة قد استحوذت عليه وأحاطته من كل جانب، لكن القرار الحتمي الذي وضع نهاية لكل سبل التفكير هو أنه لن يستسلم لذلك الدجل، فالحق أنه رآه جدلًا، لا يعد تدليسًا ولا نصبًا، فقرر أن يبحث بذاته ويكرس نفسه أو الباقي من نفسه لمعرفة الحقيقة.

البيت ضاق به ولا يطيق أنفاسه فيه، الأشخاص بات يراهم أشباحًا، حتى تليفونه المحمول الذي أغلقه منذ أيام قرر أن يُلقي بخطه القديم لئلا يُقتل كل ساعة أو كل لحظة بالتعازي والمواساة التي قد تخفف من آلام البعض لكنه لم ير فيها سوى تنغيص وإيقاظ للآلام التي لا تحتاج

إلى يقظة، لم يكن في جيبه سوى مائة وخمسين جنيهًا والحقيقة أنه قد وجدهم صدفة في بنطاله، فذاكرته قد أكلها الحزن المركز، المهم أنه قرر عدم الذهاب إلى البيت. وقعت عينه على لوكاندة تُدعى "الليالي النسيان"، إذن صارت هي الوجهة أو بالأحرى المخبأ المؤقت من مطاردة الأشباح التي لا يعلم لها أرضًا، فأخذت هي تهاجمه وتتلاعب به وكأنها كانت تتربص به ريب المنون منذ أمد بعيد حتى سنحت الفرصة.

شاب وسيم يدخل من الباب فيجد في استقباله امرأة ترتدي ملابس يجافيها الوقار، ما يشبه قميص نوم وطرحة حمراء تغطي نصف رأسها، استقبلته بالضحكات و"الأهلًا والسهلًا"، وبدا عليها وكأنها تعرفه منذ زمن.

- "مالك شايل هموم الدنيا ليه؟"، هكذا كان قولها .

الحقيقة لم يكن منظرها مريحًا بيد أنه وجد منها من اللطف ما يُتيح له التحدث معها.

أجابها: "خير.. كنت عايز أوضة تكون بعيدة عن أي دوشة" .

أجابته: "أنت تؤمر، ولو مفيش أفضيلك أحلى أوضة"، كانت نظراتها مقتحمة إلا أنه آثر عدم الاهتمام، أعطته مفتاحًا ثم تابعت: "أحلى أوضة لأحلى حد جه اللوكاندة من ساعة ما فتحتها، اطلع السلم ده، أول واحدة على إيدك اليمين، وحالًا هبعتلك إزازة مخصوص تروق بالك".

أجابها في صوت يشبه الحدة: "لأ، مبشربش".

ردت متداركة: "خلاص ولا تزعل حالك، متشربش".

غادرها وصعد إلى ذلك المكان الذي ظنه سيهدئ من روعه، ولو القليل. فتح الباب، غرفة ليست بالرحبة لكنها نظيفة، يتوسطها سرير صغير ودولاب على جانبها الأيسر وتسريحة تجاور الباب يعلوها تليفزيون ويعلو السرير شباك يطل على الشارع، لم يكن هذا يشغله بقدر أن يستلقي على السرير ثم يذهب فيما يشبه الغيبوبة بضع ساعات، ارتمى عليه كحجر تلتقطه الأرض من ارتفاع شاهق، وما إن لامس ظهره

السرير، سمع الموبايل، يبدو أنه قد فتحه دون قصد، فنظر فيه فإذا هي نوره، المكالمة رقم ١٠٠، لكنه آثر عدم الرد على أن يحادثها صباحًا، ووجد من ضمن المكالمات عددًا ليس بالقليل من ضابط التحقيق "أنور سالم"، تُرى ماذا يريد هذا؟ كان يُشغله هذا الأمر فقرر أن يهاتفه ربما وجد أمرًا، وبالفعل عدّل من وضعه، وجلس ثم نفذ ما جال في خاطره.

- "آلو.. معايا أنور بيه؟".

- "كلمتك أكتر من عشر مرات وقلتلك ماتغيبش جايز نحتاجاك ضروري".

- "لقيتم أي حاجة جديدة؟".

- "للأسف لأ.. لكن في خبر مش كويس" .

- "خير.. في إيه تاني مش كويس؟".

- "من ساعات بسيطة حد تسلل للمستشفى وحاول يقتل الحاج سعيد".

- "خير، وبابا كويس ولا فيه حاجة؟".

- "للأسف اتنقل للمستشفى ولسة خارج من العمليات.. الكلب طعنه بسكينة في صدره لكن هو قاومه، وقدر يهرب قبل ما حد يوصل ليه".

- "طيب مستشفى إيه بالله عليك؟ أنا جاي حالًا".

- "مستشفى دار الشفاء".

انطلق فاقدًا لسيطرته على أعصابه يريد أن يطوي الأرض طيًا ليرى حالة أبيه، لم يلتفت لتلك المرأة المتسائلة: "إيه جرى، مريحتش ليه؟".

وما إن وصل الشارع حتى أشار لسيارة أجرة وركب، شعر حينها بشيء غريب، نظر جانبه فإذا به ذلك الرجل الذي طلب منه الأثر، لكن هيئته متغيرة، يرتدي طاقية وعمامة وذقنه مهندمة ليست كما كانت، وكأنه شيخ عادي وليس من أرباب الخرافات، فمن يراه الآن لن يحسبه هكذا أبدًا،

وكأنهم إنسانان مختلفان كل الاختلاف، فهذا قناع وهذا آخر، الحقيقة أنه ربما مجبرًا بقوة خفية فقد ارتاح لهذا الآخر؛ شيخ ارتدى من طيبة المسنين عباءة أسدلت الستار على وجه آخر لمن يبدو مشعوذًا مستغلًا

لجهل العوام من الناس، ويبدو أن دقائق الصمت قد انتهت فبادره الشيخ قائلًا: "خير يا ابني مالك؟ باين على وشك هموم الدنيا وأنت لسة في بدايتها.. مالك؟".

رد في صوت ملبد بالعجب والدهشة: "هو حضرتك يا والدي عندك قرايب في الجيزة؟".

ابتسم العجوز: "هتعرف قريب إجابة اللي بيدور في بالك، لكن المهم احكي لي أنت واطمئن وتوكل على الله".

نهاية الحديث لم ترحه، فمن هذا؟ ومن أين كل هذه الثقة في حديثه؟ وما هذا التشابه الجنوني بينه وبين ذلك المشعوذ؟

كل هذه أسئلة حاصرت فكره حتى وصل إلى باب المستشفى، كان قد سرح قليلًا، ثم التفت قبل نزوله ناظرًا إلى جانبه، أين الشيخ؟!

لم يجده!

لقد كان جانبي منذ القليل هل سرحت إلى هذا الحد فنزل من جانبي دون أن أشعر؟!

هل لم يكن موجودًا من الأساس والصدمات المتتالية قد هيأت لي عونًا من وحي خيالي.. لكنه كان جانبي يحدثني، فما هذا الذي حدث، وكيف؟!

دخل إلى المشفى منكبًا على بوابتها السوداء الفاتحة ذراعيها وكأنها تنتظر قدومه، هرول إلى السلم المتصل بالفناء ليجد أعلاه عسكريين أمام غرفة أدرك أنها غرفة أبيه، سألهما: "هو مين اللي جوه؟".

أجابا: "أنت الأستاذ توفيق؟"، قال: "أيوه أنا".

قالا: "من وقت ما خرج من العمليات وهو بيقول: "توفيق ابني.. توفيق ابني""، انكب على الغرفة ليجد أبيه في حالة يرثى لها من الألم، لكن ما إن رآه حتى قال: "توفيق حبيبي"، ولم تكن حالته هكذا، فيبدو أنه استعاد إدراكه، جرى على والده: "بابا.. أنت بخير؟".

أجابه: "كان نفسي أشوفك وأعرفك حاجة مهمة".. كان صوته متقطعًا وكأنه قطعة من الشوك لا تكاد تخرج من ثوب خامته قطنية، فتشبثت بحلقومها.

تابع الأب: "اسمعني كويس"، أحس حينها بمدى أهمية ما سيقال له، وكان حقا بمثابة مفاجأة من ثقال المفاجآت؛ أخبره أن له أخًا من أبيه، وكان هذا سر لا يعلمه أحد، حتى أمه ماتت وهي لا تدريه، لكن أين هو؟ من هو؟ كانت المفاجأة الأضخم، حتى أبيه لم يدريه إلا من العلامة في أذنه، إحدى أذنيه شحمتها ملتصقة، والأخرى متحررة، والملتصقة بها شامة مميزة منذ أن كان طفلًا وهربت به أمه حين علمت بزواج سعيد من أم توفيق، ابنة عمه، والتي صمم أباه على الزواج منها، قلنا كانت المفاجأة الأضخم إنه الضابط المسئول عن هذه القضية، نعم.. إنه أنور .

سمع توفيق هذا الكلام بأذن تستقبل قصة من الخيال الروائي، دفعة واحدة وجد نفسه في آبار من المفاجآت كانت هذه أغربهم، لكن السؤال الأدهى فأنور كما يعلم اسمه أنور طاهر، فكيف يكون والده يُدعى سعيد؟ أجاب الأب هذا السؤال بلسان عليل لا يربط الكلمات إلا بخيط العنكبوت قائلًا :

"كان يدعوني الناس بطاهر في بلدتي القديمة وحين هربت به لم أدر وجهتها، بحثت في كل مكان دون طائل أو نتيجة، ولم أعثر لها على أثر ولم أر أخيك إلا من أيام.. "أنور طاهر""، قال هذا باكيًا حزينًا على فراق فلذة كبده الذي لم ير طفولته ولم يعرفه إلا بقلب أضناه الفراق وعين حُفرت بها صورة طفل لم تغب عنه طوال عمره.

* * *

قال هذه الكلمات ثم غاب عن الوعي فصرخ توفيق بكل قوته: "باباااااا"، حضرت ممرضة على صراخه ثم رأت نبضه وأخبرته أنه مجرد إنهاك وأن حالته مستقرة، عليه فقط أن يتركه ليرتاح قليلًا.

في ذلك الوقت كانت نوره تعاني فراق من أحبته ورأت فيه رجل أحلامها، آخر حين رأته فيه مر عليه أسابيع، بحثت عنه في كل مكان، لكن لم تجده حتى شاء لها القدر فقد رأته "نها" إحدى صديقاتها المقربات وهو داخل إلى المستشفى.

- "آلو.. نوره وحشتيني، ليكِ عندي خبر بمليون جنيه".
- "نها إزيك؟ وأنتِ أكتر، قولي.. إيه؟" .

- "حبيب القلب يا ستي، سي توفيق يا عم ."....

- "ماله؟!! شوفتيه؟ فيييين؟".

- "بالراحة بالراحة، آه شفته".

- "فين قولي؟".

- "هو دلوقت في مستشفى دار الشفاء، في حي "أحمد علوي"".

- "طيب، تسلمي يا نونو، أنا رايحة حالًا" .

- "يابت اتقلي شوية، والله ليه حق على اللي بتعمليه ده ما يعبرك" .

- "طيب طيب، يلا سلام".

- "سلام، والله أنا غلطانة ههههههههههههه".

انطلقت كالسهم صوب هدفه بل انطلقت كبرادة حديد مبعثرة تائهة نحو المغناطيس الوحيد الذي يحمل شيفرتها، كانت الساعة تقترب من الثانية ظهرًا لكنها لم تعبأ بحر شمس أو اندفاع محبة نحو حبيبها، كان كل ما يشغلها هو رؤية من غاب عنها فأظلمت سماؤها حينًا من الزمن.

غادر المستشفى عاقدًا العزم على وجهة غريبة، فأين سيذهب؟ فقد تغيرت بؤرة الأفكار وظهرت خفايا جديدة، بل تبعثرت أوراق كثيرة،

والغموض ما زال متحكمًا بالأحداث، المهم أين سيذهب؟ نعم.. إنها وجهة غريبة، نعم.. لم نتوقع أن يدق هذا الباب ثانية لكنه سيق إلى هناك، ربما القدر وربما الصدفة، لكنه توجه صوب هذا الرجل الذي استقر في ذهنه أنه ذلك المشعوذ النَّصاب الذي يقرع جيوب الناس بالغش والتدليس، وبالفعل اقترب من تلك البؤرة القابع فيها الشبيهة بالمغارة، بيت مهجور أو يبدو عليه كأنه أطلال، يقيم فيه ذلك الرجل، ولكنه قبل خطوات وجد أحجية جديدة، فما علاقة المدعو رأفت بهذا الدجال، لماذا هو داخل إليه؟ ما هو الرابط بينهما؟

انتظر دقائق حتى خرج ليجده خارجًا بوجه طلق وكأنه أنجز مهمة شغلته كثيرًا، سؤال أراد له جواب.. لماذا أتى هذا الشاب الذي لطالما حفت بهما المشاكل إلى هذا الرجل؟ وماذا يفعلون؟

غير اتجاهه وقرر أن يتتبع الآخر ربما يجد جوابًا على أي من أسئلته، ركب رأفت سيارته فانطلق توفيق خلفه مستقلًا تاكسي كان قد أمر سواقه أن ينطلق خلف المتبوع، والغريب أنه توجه إلى المستشفى أو إلى مكان قريب منه حتى توقف أمام إحدى العمارات وسرعان ما خرجت

فتاة فنزل من السيارة وحادثها محادثة سريعة، ويبدو أنه قد طلب منها أمرًا ما فقامت بتنفيذه، ربما كان مبرر هذا أنه أخرج نقودًا وأعطاها لها وهو في قمة السعادة.

اقترب من المستشفى الذي لم يكن يبعُد سوى أمتار قليلة عن هذا المكان، حتى إذا ما اقترب من بوابته وجد نوره خارجة في نفس اللحظة التي وصل فيها، كان يبدو عليها الحزن وخيبة الأمل، حتى إذا ما رأته بدا الحنق والغضب يقبعان على وجهها، حاول أن يتحدث معها: "نوره! بتعملي إيه هنا؟".

- "بزور حد مريض، لو سمحت عديني" .

- "استني، هوصلك بالعربية".

- "لأ شكرا.. مش بركب عربيات".

لم يستطع التظاهر بالاحترام أكثر فقال: "لو كان توفيق بتاعك، كنتِ ركبتِ وبقت عسل"، وحاول إمساك يدها، فنهرته، حينها انطلق توفيق نحوه كالكابوس الطارق حتى اصطدم به، رأته حينها فبدت كصغير لاحت له أمه من بعيد، لكن لم توجد في هذا الوقت الفرصة للكلام

وبات الغضب سيد الحدث، دون أي حديث لكمه لكمةً سال على أثرها الدم من فمه، وكانت مشاحنة وانتقام اشتعلت نيرانه منذ مدة وآن لها أن تستعر الآن. ضربه توفيق حتى أسقطه على الأرض، ثم التفت لمن لا يملأ قلبها إلاه قائلًا: "عرفتِ منين إني هنا؟".

- "هو ده اللي يهمك؟! عرفت منين إنك هنا! حد شافك وعارف حالي فبلغني".
- "نها، مش كده؟".
- "وأنت مين اللي قالك؟".
- "مفيش، بعدين نعرف".

في هذه اللحظة كان الملقى على الأرض يستجمع قواه المهدرة، وضع يده في جيبه وأخرج سلاحا يشبه سكينًا صغيرة كالتي توجد في قلامة الأظافر، لكن لمحته نوره فصرخت في وجه توفيق: "حاسب" .

فالتفت إليه ليمسك يده التي كادت تصطدم به في اللحظة الأخيرة، ثم ضربه على ذراعه ضربة أسقطت السلاح من يده .

في هذه الأثناء كانت عربة شرطة أمام المستشفى قد وصلت والتي نزل منها أنور ليرى بنفسه ذلك المشهد فأطلق عيارًا في الهواء، ثم انحنى على الأرض ممسكًا بالسلاح المُلقى عليها سائلًا: "كان مع مين ده؟".

أجابت نوره: "كان مع البني آدم ده، وكان هيضرب توفيق بيه لولا خد باله ف آخر لحظة".

بدا الآخر مرعوبًا ولم يستطع الكلام وحين سُئل أجاب: "بتاعي وقع مني على الأرض".

نظر إليه أنور بغضب: "وقع منك؟!! طيب اتفضل معايا على القسم عشان ميقعش منك تاني".

ألقت بنفسها على كتفه بحركة لا إرادية وكأنها جزء وجد كله فالتحم به، وقالت له لائمة: "أين كنت طوال هذا الوقت؟".

أجابها بأنه ضمها إلى صدره ضمة غنت عن أي كلام، كانت هي إجابته القاطعة.

في قسم البوليس اشتاط أنور غضبًا حين طُلب منه إخلاء سبيل المدعو رأفت شاكر، بتهمة حيازة سلاح أبيض وإفشائه في مكان عام وتهديد الآخرين، عقوبتها لا تقل عن شهر سجن، فكيف أُخلي سبيله؟! لكن هذا كان أمرًا من رئيسه في العمل، علم حينها أن شاكر بيه من كبار رجال الأعمال، وقد قام باتصالاته حينما حادثه ابنه مخبرًا إياه أنه في طريقه للقسم، إذن قد أُخلي سبيله وصار حرًا دون عقاب!!

هناك اغتاظ ذلك الرجل فمن هذا الذي يجرؤ على المساس بابنه بل ضربه، كان رجلًا يملؤه الكبرياء، ينظر إلى الناس نظرة القاطن بقمة برج يعانق السماء إلى العامة في غياهب الطرقات، فلا يرى سوى ضئال قد التصقوا بالأرض، فلا قيمة لهم إلا في خدمته وإشباع ما يجول في نفسه.

وقد جند هذا الرجل المشعوذ منذ سنين ليصير له تابعًا يضعه حيث يشاء ويفعل له ما يريد مقابل رضاه وإغداق المال.

سأل ابنه: "وتطلع مين نوره دي كمان؟".

- "نوره دي بنت في الجامعة، حاولت معاها كتير بس بتفضّل واحد ميسواش عليَّ".

- "ومين الواحد ده كمان؟".

نظر بحنق وكراهية يأكلان وجهه، ثم أردف: "توفيق.. توفيق اللي بسببه كنت هدخل السجن" .

- "طيب نوره دي هجيبهالك تحت رجلك، وتوفيق هخليه يكره اليوم اللي اتعرضلك فيه".

- "توفيق موته قليل عليَّ، لكن نوره لأ، أنا بحبها، وهي البنت الوحيدة غير كل اللي عرفتهم اتمنيت تكون مراتي".

- "مراتك!! بنت مين دي؟ ومن عيلة مين عشان تكون مراتك؟ أنت ناسي إنك ابن شاكر الجوهري؟."!

- "بابا.. أنت عمرك ما رفضتلي طلب، وده أغلي طلب بطلبه منك في حياتي" .

- "قلت مين نوره دي؟ وهي بنت مين وأملاكهم إيه، عندهم إيه؟ وبتقول إنها مفضلة عيل هلفوت عليك."!

- "يمكن لو رحناالها البيت يقبلوا وهي تقبل" .

–   "هههههههههههههههه، لأ عال، يمكن يقبلوا! أنت اتجننت يا ولد، أروح لمين البيت."!

لم يكن هذا هو نهاية الحديث، لكن ربما مكان آخر أكثر إثارة الآن كي نرى ما يحدث فيه.. كان هذا في لوكاندة "ليالي النسيان".

غرفة تشبه البدروم المهجور، مقيد بها ذلك العجوز على أحد الكراسي الخشبية، قد التصق ظهره بمسند الكرسي حتى صارا قطعة واحدة، ولم تدخر الست نعمة "صاحبه اللوكاندة" جهدًا في هذا حين طلب منها توفيق الذي أدراها بمكانه القريب من اللوكاندة، وبحيلة نسائية استخدمت فيها ما يقال وما لا يقال من وسائل الإغراء أحضرته إلى مكانها حتى يصير في موضعه هذا اليوم بما في جعبته التي على أقل تقدير تحوي الكثير من الدسائس والتشويق والخبايا التي أصر من أحضره على ألا تبقى طي الكتمان.

دراجة بخارية تتوقف أمام المستشفى، أحدهم يرتدي زي طبيب واثنان آخران، يحمل أحدهما حقيبة والآخر لم يتحرك وبقى ساكنًا في

موقع قيادة الدراجة، تحرك الاثنان نحو الباب، فسأل الحارس: "رايحين فين؟".

أجاب الطبيب غير المعلوم الهوية: "أنا دكتور.. استدعوني لحالة طوارئ فجيت جري زي ما أنت شايف، وسع لي قوام من فضلك"، وكان يبدو عليه الهمة والاستعجال فانطلق من فوره وخلفه حامل حقيبته حتى وصلا إلى السلم فصعداه في سرعة توحي بمهمة تستوجب هذه السرعة حتى وصلا إلى باب غرفة الحاج سعيد فوجدا حارسًا حاملًا بندقية فتقدم مرتدي البالطو الأبيض نحوه في تؤدة الطبيب، حتى صار في مجال سؤاله: "الدكتور لسة خارج من عنده حالًا، أنت مين؟".

فأخرج من جيب معطفه بخاخا وصوبه نحو أنفه وأطلق رذاذًا لم يكد يلامس أنف العسكري حتى وقع فاقدًا القدرة على الحركة، فتح الآخر الباب ودون أي كلمة استخدم نفس الأداة حتى دخل الآخر وحملا ضحيتهما على سرير متحرك، كان الوضع ملائمًا للخروج به من المشفى، فحارس البوابة الخارجية أيضًا فاقدًا للحركة وموضوع في غرفة

في بدروم المستشفى، وسيارة إسعاف تنتظر أمام المستشفى لتحمل والد توفيق.

ما حدث يبدو وأن له مآرب عدة ومقاصد لم تكن لتأتي إلا بشيء يضع توفيق بين شقي الرحى فيجبره على ما لم يكن ليفعله تحت أي تهديد أو ترهيب.

ربما يُجبر صاغرًا على التفريط في من أحبَّها مقابل حياة من بقى من والديه.

جاء موعد تبديل المحلول فصعدت إحدى الممرضات إلى الطابق الثالث لتجد عسكري الشرطة ملقيًا على الأرض فاندهشت وتملكها الخوف، أفاقته ببعض الماء ثم فتحت الباب لتجد السرير خاليًا من مريضه .

لم ينبس الشرطي ببنت شفة إلا أنه نزل سريعًا إلى الاستقبال واستخدم هاتف المستشفى ليخبر أنور بما حدث في الدقائق الماضية .

- "آلو، أنور بيه؟".
- "أيوه يا مجاهد مالك؟ حاجة حصلت عندك؟".

- "اتنين بلطجية واحد منهم لابس طبيب والتاني ملحقتش أشوفه رشوا ف وشي حاجة غيبتني عن الوعي وخطفوا الحاج سعيد".

- "والحمير اللي معاك راحوا فين؟ مش قايل مفيش دبانة تخش أو تخرج إلا لما أكون عارف".

- "يا أفندم".......

- "مش عايز أسمع كلام، أنا جاي حالًا، ومش عايز حد يعرف باللي حصل لحد أما آجي".

هناك في اللوكاندة أحضر توفيق ما طُلب منه منذ أيام، كيس صغير في حجم قبضة اليد به إصبع قد أُنتزع من يد باتت تحوي أربعة أصابع.

قيل قديمًا أو منذ زمن ليس باليسير في العامية المصرية: "طباخ السم بيدوقه"، وهذا تجسيد لهذا المثل، ألم يطلب ذلك الرجل من توفيق حديث الشكل والفقد حينها قطعة من جسد والدته ــ التي لطالما ربته على اليقين واستقبال ما قدّر الله بصدر مؤمن راضٍ غير قانط ــ فها هو ذا يُحضر له ما طلب ولكن ليس من جسدٍ ظفره أغلى عليه من الحياة بل

من جسد يعيث فسادًا في هذه الحياة، بذرة قد ألقاها ذلك المشعوذ لتكون خليفته في حقل يقود الكثيرين من الناس نحو مدّعي مخيري الأقدار.

ابنه الذي لم يترك السبيل للكثيرين من العوام أن يتنفسوا هواء خالٍ من أبيه ليوم أو بعض يوم فاتخذ من مكانه بوقًا يكمل طريق تغييب عقول الدهماء وبسطاء الناس، فكان جديرًا بتوفيق أن يخالجه الاستغراب، كيف لهذا البيت الخرب بعد ما سحب منه عازف سيمفونياته الضالة المضلة أن يظل محتفظًا بتردد الناس عليه.. كيف؟! حتى دخل هو بنفسه فوجد نسخته حتى في حركاته ولحيته وكلماته التي حفظها من شيفرة تضليل الناس يُكمل المسيرة فشعر أنه يرى عصابة لا تفنى وسلسلة حلقاتها مستمرة وهو بحالته التي ربما يطّلع عليها من يراه وغضبه وما حدث لوالده جعله يرى هذا الرجل شيطانًا في زي آدمي يغوي على علم، فقرر أن يكون عقابه بطريقة حددها سابقة على هذا العرش الذي سينهار في نار جذوتها يقين ينتزع مكانه من شك وجهل وتغييب.

إذن فقد أحضر إصبع ابنه ودخل عليه مبتسمًا ابتسامة تحتلها سخرية جعلتها أشبه بلحظة الفكاهة الهزلية.

- "ده اللي طلبته مني، مظبوط؟".

- "أنت رابطني ومقيدني وجاي تقولي ده اللي طلبته مني! ولعلمك.. أني أقدر أفك روحي من اللي أنت عامله ده، لكن أني ما أزعجش اللي معايا بحاجة تافهة زي دي".

- "طيب وريني بركاتك وخليهم يفكوك".

- "أني مش عايز أضرك يا ابني ولا أني بتاع ضرر، وما تضطرنيش لكده" .

- "يا رحمتك يا مولانا، فعلا تتصدق"، وقال بصوت مستهتر: "ده اللي طلبته مني أول مرة شفتك فيها، أدينا جبناه"، وفتح الكيس وأخرج منديلًا مطويًا، ففتحه على مهل حتى طلت منه أنملة، ومن ثم مسكه من ناحية الظفر وأرجعه، "ده اللي طلبته، مش كده؟".

نظر الرجل إليه وكأنه ينظر إلى لعبة أو دمية، شيء عادي لا يفزعه ولا يُلقي في روعه شيئًا من الدهشة الممزوجة بالقليل من الخوف الآدمي وقال: "هو ده اللي طلبته، بس مش هنا".

رد توفيق: "أمال هناك!! أنت مش راجل صاحب علم وعلمك معاك في كل مكان ولا هناك هو اللي صاحب علم؟".

أجاب بعلامات من عدم القدرة على الجواب: "هناك زي هنا لكن يا ابني اللي بيطلب حاجة من حد بيحترمه مش بيربطه ويقول له اعمل وسوي، أني راجل كبير يا ابني".

- "ما هو أنا جبتك هنا عشان تكون قدامي وأطمئن عليك وتعمل اللي طلبته منك على رواقه".

- "عشان تطمئن عليَّ!! مقبولة منك" .

صرخ الآخر: "ده اللي طلبته مني صح؟".

- "طلبت منك عقله مش صباع".

- "بس المطلوب موجود والمرغوب معلوم بإذن الله".

- "واضح إنك مؤمن بالله قوي".

- "أمال يا ابني أنت شايفني كافر؟".

قال في نفسه: "الكافر أرحم من أمثالك"، ثم أعلى صوته: "لأ لأ، ربنا يكفينا شر الكفر".

- "وريني بقى اللي هتعمله، إلا بالحق يا مولانا.. تعرف إيه عن شاكر الجوهري؟".

سمع الاسم وكأنه ألقى حجرًا من سجين على رأسه ثم حاول الإخفاء.

- "شاكر الجوهري مين؟".

- "لأ لأ، ده اسم جه في بالي، قلت أسألك يمكن يعني مر عليك، المهم دلوقت اللي أنت طلبته أنا جبته فياريت توريني نتيجة، ومن غير تعب، أنا هفكك بس مش هتطلع من هنا من غير ما توريني نتيجة اللي قلت عليه". قال هذا وهو يفك القيد من حول معصميه اللذين رُبطا خلف الكرسي الخشبي.

- "قلت لك المطلوب موجود والمرغوب معلوم، لكن هنا اعذرني يا ابني مفيش كلام هيطلع مني ليك".

ضحك توفيق، ثم استطرد: "كنت عارف".

رد الآخر: "ياما ساعدت ناس وياما فكينا ألغاز وياما حلينا عقد، لكن الناس بتحترم الشيخ عكاشة ومحدش تطاول كده قبلك لكن أني صابر عليك لأنك في مقام ابني".

- "طيب إيه رأيك إنه دااا....، ولا بلاش، المهم كلامك ده ميمشيش معايا وخليك كده يا عم الشيخ المخاوي يمكن ولي نعمتك يشتاق ليك".

- "ولي نعمتي هو الواحد، حي حي" .

- "برئ منك ومن أمثالك، أنا طولت معاك وخلصت كلامي، تحب أبعتلك الست نعمة تفرفشك؟ إلا بالحق جيت هنا إزاي، هههههههه.. يا عم الشيخ ."!

- "جيت لما شفت ولية محتاجة حد يعينها، طلعت مرة كدابة" .

- "طيب يا عم المعين، كنت فعلا عايز تعينها، بس بعدين".

خرج وأغلق الباب خلفه بقوة ثم أوصده بقفل خارجي.

أعلى الآخر صوته: "نسيت تقيدني في الكرسي".

كان داخل الرجل الهرم ألغاز، فمن أين يدري هذا الشاب بشاكر الجوهري؟ ومن أين علم بعلاقته به، وكيف؟ لكن صوته لفكره الخبيث طمأنه: "طالما شاكر الجوهري في الموضوع الواد ده مش هيبقى ليه أثر وهيلحق بأمه وأخته وأبوه.. حشرة زي ده مش هيهدم عكاشة".

هناك في إحدى فيلات شاكر بيه، كان رأفت ينظر إلى والد توفيق المسطح على سرير لا هو بالسرير ولا هو بالمنضدة لكنه يشبه السرير المنزوع كل ما أُعد له ليناسب راحة البدن، بجواره عمود معدني مثبتة به زجاجة محلول ملحي ربما كانت هي سبيل الغذاء والحياة له، ألقى عليه سؤالًا: "ابنك ده فاكر نفسه مين عشان يتحداني؟ دلوقت هييجي زي الكلب".

سمع الرجل المنهك كلماته فتحركت عيناه نحو هذا المتحدث لتقولا له، من أي سلالة لآدم جئت أنت؟!

ليجيب الآخر وكأنه سمع السؤال: "طبعا أنت بتحتقرني، لكن دي أقل حاجة ممكن تكون مني لابنك، قلتله كتير متقفش قدامي كتير، متقفش قدامي، بس كان بيتمادى أكتر وأنا يا أبويا صبري نفد".

في تلك اللحظة استجمع قواه وانطلقت من شفتيه: "أنا مش أبوك، شيطان زيك لازم يكون أبوه شيطان أكبر".

أجاب الآخر: "الشياطين دول هيعلموكم تمشوا جنب الحيط ومتتحدوش اللي لو داسوا عليكم مش هيكون ليكم عيش في الدنيا وأديك هتشوف".

ركب الرجل سيارته الفارهة وبجواره ابنه – الذي سمع منه –: "من يوم أمك ما ماتت وأنا بحاول أكون أم وأب ليك مبسمحش لحد يبصلك، والنهاردة رايح بيت ناس ميحلموش شاكر الجوهري يعدي من جنب بيتهم، إوعى تطمعهم فينا أكتر من كده، ومتزودش كلمة على كلامي".

- "مش هنسى يا بابا إنك سمعت كلامي وجيت معايا وعملت كل ده عشان ترضيني وكلامك هنفذه".

صعدا سلم عمارة جعل صاحب العبارة الأولى يصاب بالتأفف والامتعاض والشعور بدونية ساكنيها حتى وصلا إلى شقة في الطابق الثالث على اليمين – باب خشبي به شراعتان من الزجاج خلفهما ثلاثة

أعمدة صغيرة من الحديد – دق الرجل الباب فأجاب الحاج ممدوح: "مين؟ هتكسر الباب".

فقال الآخر: "شاكر الجوهري بيخبط".

من هذا الرد أخذ والد نوره الانطباع الأول عن هوية قارع الباب – فقد كان رجلًا يتفرس شخصية من يراه، ذا روح شفافة، ويا حبذا لو سمع كلماته وها هو ذا يسمع "شاكرالجوهري بيخبط".

عبارة بها من الأنا والكبر ما يطغي على الحروف العربية المكونة لها، المهم أجاب بطابع من الفكاهة: "جاي يا سعادة شاكر الجوهري اللي بيخبط"، ثم وضع يده على أكرة الباب وفتحه ليجد أمامه رجلًا ذا رونق وأبهة، يرتدي بدلة سوداء وكرافتة بنفس اللون، ويضع في فمه سيجارًا من تلك التي تشبه البقسماط المتداول بين أيدي أصحاب الدخل فوق المتوسط وبجواره شاب ملامحه شيطانية، إنه لا يدري ماهيتهم بالكلية لكنه مجبر على قول: "اتفضلوا"، فهم أناس غريبون لكنهم واقفون بباب بيته فلا شيء سوى تفضلوا .

دخل الرجل حتى دون شكرًا المتوقعة وخلفه ابنه الذي أخرج من فمه: "لا مؤاخذة يا عمي على المفاجأة."....

نظر إليه أبوه نظرة ظهرت تبعاتها على وجه من ابتلع بقية الكلمات، فأجاب الحاج ممدوح: "خير إن شاء الله، اتفضلوا في أوضة الضيوف".

نوره في غرفتها سمعت شيئًا بالخارج ومعها صديقتها الكبرى من كانت لا تناديها إلا بـ "دودو"، إنها الست خديجة والدتها وصاحبة طفولتها وشبابها فقد كانتا أما وبنتا استثنائيتين كما كان أبوها أيضًا فهكذا رباها، أسرة قامت على الصداقة والحب وكأنهم زمائل وأصحاب دراسة، ليسوا بالأب والأم والابنة فالأول سلطة والثانية مجرد أم والأخيرة ابنة قد تطيع وقد تعصي، وقد تُظهر خلاف ما بها، بل كان الأول صديقًا وأبًا، والثانية كل ما خلق الله الأم له، والثالثة نعم الثالثة من ابنة وصديقة.

نعود لحجرة الضيوف التي كان بها شاكر الجوهري وابنه ووالد نوره وأُفتتح الكلام.

- "رأفت ابني الوحيد، وكلمني عن نوره بنتك، وجينا النهاردة عشان نخطبها ليه".

دون النظر إلى خلفيته السيئة عن هذا الولد وما ظهر على وجهه حين سمع عبارة رأفت ابني، إلا إنه حتى صيغة الكلام لم تكن محببة إليه، فإن هذا الرجل من طريقة كلامه يبدو وكأنه أتى لشراء سلعة، فطريقة كلامه لم تعط حق القبول أو الرفض لذويها، فها هو يقول: "جينا نخطبها ليه" بطريقة مفادها ونبراتها ألا سبيل لك أو لها إلا القبول طوعًا أو كرهًا فلتأتوا بأي شكل منفذين لما طلبنا، والحقيقة أنه لم يكن يدري عزة نفس هذا الرجل على قدر بساطته وتقديره لابنته ورأيها في عامة المواضيع فما بالكم في أمر كهذا، وعدم خشيته طوال عمره من أحد فكان رده على ذلك شهيدًا، إلا أنه فكاهي بطبعه، مما يوحي لبعض ممن يستقبلون كلامه في بعض الأحيان بالاستخفاف به، إذن فقد فقال: "شاكر بيه الجوهري.. من وقت ما خبطت على الباب ودخلت وأنا بسمعك من غير ما تدي لصاحب البيت فرصة للكلام، لكن هقولك قصة كلماتها قليلة، على اختصارها وبساطتها جايز تكون معبرة وتوضح ليك."....

قاطعه الآخر: "إحنا مش جايين تدينا مواعظ وعبر وقلنا اللي عندنا".

ابتسم ورد قائلًا: "وأنا رأيي هو اللي هتسمعه مني اتمهل بس، مرة راجل غني قوي دخل مكان بسيط لقى جوهرة من غير ما يبصلها قال لراعيها هديك خمسة وتديهالي بص وقاله خمسة إيه، رد الراجل عليه وقاله خمسة جنيه، دي أكيد تقليد، الراعي ضحك وقال له: أنا معنديش جواهر ليك لا بخمسة ولا بخمسين، لو كان ركز وتفحصها كان عرف إنها أرقى جوهرة على الأرض لكنه بص لحاجة تاني حجبت بريقها عنه، نفس الراجل ذهب لمكان فاره بيحوي أحجار مطلية بألوان ميعرفش إيه تحتها، أول ما دخل المكان قال لصاحبه عايز دي، وشاور على واحدة في لوح زجاج وقال هديك خمسة مليون، لأنه بص لغير الجوهرة، نظر لشيء ممكن يخليه يعكس بصره على غير اللي هيشتريه، لو فهمت ردي خير وبركة، لو لسة فأنا هقولك أنا معنديش جواهر ليك يا شاكر بيه ورأي بنتي أنا عارفه كويس".

انتفض الآخر من جلسته ونظر لأبيه قائلًا: "خليت الأشكال دي تديني دروس، لكن العيب مش عليك، العيب على اللي سمع كلامك ودخل بيت زي ده".

هنا ارتفع صوت الحاج ممدوح: "المكان ده أشرف ألف مرة من مكانك، ولو نطق مكانش قبلك تقعد فيه، وأنا مستحمل قلة ذوقك لكن كفاية، أنت في بيت ناس والبيوت ليها حرمة لو اتعلمت، كده أنا كلامي انتهى".

انتفخت أوداج شاكر الجوهري وتحرك نحو الباب وخلفه ابنه حتى وصلا إلى باب الشقة الخارجي، ثم نظرا خلفهما ليجدا نوره ووالدتها في حالة بين الفزع من هذه الجلبة والفخر بهذا الشيخ الأسد، فهكذا يرون الذي يعلم كيف يحميها.

غادر الرجل وابنه بعد أن صدم الأول الباب بطريقة موحية بغضب وقنوط وانتقام، ربما وجد طريقة إلى المغادرة من هذا المكان الذي شعر فيه بهذا الشكل الفوضوي الباعث لغياب أي تقدير.

وها هو توفيق لا يعلم أين أبوه أو بقاياه؟ هل تراه ما زال حيًا أم لحق بركب المفقودين؟ وهذا الدجال الذي بين يديه أتراه يقتله ليشفي بعض ما في صدره؟ أم يبقيه لعله خيط يجد فيه ما يفك طلاسم كل الذي عاشه من ألغاز؟

لم يجد أمامه سوى أن يدعو رفيقًا أخبره أبوه عنه في آخر لقاء، وهنا أمسك بهاتفه وكأنه ينادي من فوهة مغارة عله يجد داخلها من يرشده إلى جانبها الآخر وقال: "آلو.. أنور بيه؟".

- "توفيق.. عرفت حاجة عن مكان والدك؟" .
- "لأ.. أديني بكلمك جايز في جديد" .
- "أنا مش بنام يا توفيق، وقريب هنعرف كل حاجة".
- "طيب لو سمحت أنا عايز أقابلك ضروري، في شيء مهم لازم تعرفه".
- "شيء مهم لازم أعرفه؟! قول أنا سامعك أهو".
- "لأ.. لازم أشوفك، الموضوع أكبر من أي شيء ممكن تتصوره" .

- "تعرف كافيه ولاد البلد اللي في شارع الحرية؟".

- "آه عارفه".

- "كمان نص ساعة هجيلك على هناك".

- "اتفقنا، أنا رايح قدامك أهو".

نزل توفيق من غرفته في اللوكاندة ليجد الست نعمة على حالتها المعهودة حين تراه.

- "رايح فين ياسي توفيق، وهنعمل إيه في الكركوب اللي مرمي تحت ده؟"، قالت هذا وهي تتمايل في قميصها الذي ترتديه وكأنها في غرفة نوم كبيرة داخل منزلها .

أجابها: "خليه مكانه، محدش ليه دعوة بيه لحد ما أجيله"، وغادر الباب دون أن يستمع ردها، وفي طريقه اصطدم بنها، تلك الفتاة التي رآها تتحدث مع رأفت بالقرب من المستشفى منذ أيام، ارتبكت حين نظر إليها وفجأة مر بجوارهم موتوسيكل وأطلق النار على توفيق.

اخترقت الرصاصة صدر نها التي وقعت على الأرض ملطخة بدمائها قائلة: "توفيق.."، بصوت تكاد أناته تصادق الموت، "..أنا مش

خاينة وعمري ما خنت نوره، لكن الكلب ده أجبرني على حاجات غصب عني"، وكان ألمها يزداد وصوتها نبراته تضعف وتميل للسكون لكن قبل أن تغمض عينيها باحت بكلمات أخيرة: "أمي مريضة، عندها سرطان والحيوان خطفها وقالي مش هتتعالج إلا إذا رصدتيلي كل حركة لنوره مع توفيق"، ثم أغمضت عينيها.

صرخ توفيق بكل قوة: "الحقونا بتموت، حد يتصل بالإسعاف"، ولحسن الحظ لاح تاكسي من بعيد قادم نحوهما وما إن وصل حتى رأى فتاة غارقة في دمائها على ذراع هذا الشاب الذي توسل له أن يأخذهما إلى المستشفى. حملها توفيق ووضعها على المقعد الخلفي وطلب منه السواق الذي بدا كطبيب أن يُغلق مكان الجرح بأي شيء كيلا تخسر كمية أكبر من الدماء حتى يصلوا إلى المستشفى، فخلع توفيق قميصه وكبسه في الجرح ثم انطلق بهما السواق .

أمتار قليلة ورن موبايل توفيق الذي وضع يده الملطخة بالدماء في جيبه وأخرج الهاتف ليجده أنور الذي لا شك ينتظره منذ بعض الوقت.

- "توفيق.. مستنيك بقالي عشر دقايق في الكافيه، أنت فين؟".

- "أنا في مصيبة يا حضرة الظابط، نها صاحبة نوره جنبي في التاكسي أهو، طالعين على المستشفى، غرقانة في دمها، وأنا جايلك تلاتة بلطجية راكبين موتوسيكل واحد فيهم ضرب عليَّ نار بس جت فيها هي وطالع بيها على المستشفى أهو".

- "طيب أول ما توصل المستشفى رن عليَّ وعرفني أنت في أي مستشفى وأنا جايلك".

- "تمام، هبلغك أول ما أوصل".

قاطع سواق التاكسي الحوار: "ده مستشفى الزهور، قوام هنزل أخليهم ينزلوا بسرير متحرك".

- "شكرًا أوي، كتر خيرك، بسرعة بالله عليك" .

دقائق قليلة وأتى ممرضان يهرولان ووضعوها على السرير وانطلقا بها، وتوفيق يُخرج من جيبه أجرة التاكسي الذي يبدو كسائق من كوكب آخر

رفض أن يأخذ منه أي أجرة قائلًا: "مينفعش آخد منك ولا جنيه في الظروف دي، ربنا يقومها بالسلامة، اتفضل أنت شوف حالتها إيه عشان نزفت كتير".

شكره توفيق ثم أسرع نحو باب المستشفى لكنه ما إن وصل الطابق الثالث الخاص بالعمليات حتى أنبأوه بأن حالتها خطيرة وتحتاج لنقل دم فورًا وفصيلة دمها (AB-) بها نقص بالمستشفى.

قدر الله أن يصل أنور في هذه اللحظة ليخبرهم أن فصيلته (AB-) فأخذوا هذا الضابط سريعا ليأخذوا منه بعض الدم الذي قد يُنقذ حياة تلك الفتاة التي تصارع الموت، وبالفعل لتران من دمائه ذهبا لها إلى غرفة العمليات وتمكن الأطباء من إخراج الرصاصة وأصبحت حالتها شبه مستقرة بعد نقل الدم وها هي في غرفة العناية المركزة تجاورها نوره التي أخبرها توفيق بما حدث منذ ساعات.

وها هي قد أتت بصحبة والدتها وأبيها ليواسوا صديقتها في هذه الساعات الحرجة التي تصارع بها الموت، الست خديجة في مطعم أمام المستشفى تُحضر بعض الطعام الذي لا شك ستحتاجه صديقة ابنتها

لأيام والأستاذ ممدوح يحادث توفيق وأنور فيما حدث كي تصاب هذه الفتاة بطلقة نارية، ومن هو معدوم الضمير الذي يصوب رصاصة نحو صدر فتاة لا حول لها ولا قوة.

قص عليهم ما حدث إلى أن أتى أنور الذي أراد الله أن يكون سببًا في إنقاذ حياة تلك الفتاة.

كان ثلث دمه تقريبا سببًا في استقرار حالتها الحرجة أو التي كانت حرجة إلا أن سؤالًا مهمًا وجد طريقه إلى فمه: "توفيق.. قلت لي في حاجة ضروري جدًا عايز تعرّفها لي لدرجة إنك قلت إنها مش ممكن تخطر ببالي، أظن جه الوقت إنك تقول لي في إيه بالظبط، جايز تكون حاجة مهمة تنفعنا في خط سير القضية اللي عمالة تتعقد يوم عن يوم وأي خيط ممكن يفيدنا في إننا نوصل لحل، ونعرف نفك ترسانة الغموض الغريب ده".

استأذن توفيق والد نوره ليصطحب أنور قليلًا ليخبره بأمر مهم، فأذن له، وما إن وصلا إلى استراحة المستشفى حتى سمع أنور كلامًا جعل من وجهه بيتًا لجميع علامات الاستغراب والتعجب في الكون.

كانت هذه الكلمات هي كلمات الحاج سعيد لابنه في المستشفى وما بها من دلائل وغرائب إن شئنا أن نقول مفاجآت من نباتٍ شتى .

- "إزاي! واللي في البيت بقالي 26 سنة بقول له يا بابا يبقى مين! ده أنا عمري ما حسيت إنه مش أبويا لكن فعلا حتى اسمه في البطاقة فاروق، ولما سألت من غير ذرة شك قالي حكاية غريبة وإنه جه من إسكندرية هربان من لصوص كانوا عايزين يقتلوه وغيّر اسمه لطاهر، ولما خلفني بقيت أنور طاهر، قصة غريبة لكن صدقتها، وكمان إيه الدافع إنك تكدب عليَّ ووالدك يعرفني من حاجة مميزة فيَّ أنا نفسي وقفت قدامها كتير، الخلاصة يعني إنه اللي عشت طول عمري فاكره أبويا طلع مش أبويا، طيب وأمي كمان إيه نظامها يمكن مش هي!!"، قال ذلك باستنكار ودهشة وريبة في أقصى حدود الريبة.

سأله توفيق سؤالًا: "هي والدتك عايشة؟".

- "أيوه عايشة، أنت تعرف حاجة عن القصة، أكيد أبوك حكى لك" .

- "أبوك ده يبقى والدك أنت كمان يا أنور، وأقسملك بالله عمره ما كذب عليَّ لا في صغيرة ولا كبيرة عشان يخترع حكاية زي دي وأنت لو شاكك دور بنفسك واعرف الحقيقة".

- "كل المقدمات بتقول إن كلامك حقيقة، بس كمان لازم مواجهة".

- "اللي تعرف إنه صح اعمله، أنا قلت لك كل اللي أعرفه" .

نظر أنور في عيني أخيه ثم قام من مقعده ولم يتمالك بحركة لا إرادية إلا أن يعانقه بشدة جمعت قوة سنوات الرجلين الطفلين في هذه اللحظة، وغادر أنور دون أي كلمة وكأنه حدد وجهته إلى مكان ما لابد أن يكون فيه الآن، لا غيره من الأمكنة .

ركب سيارته ثم انطلق حتى وصل إلى منزلهم، نزل من السيارة مسرعا ورن جرس الباب وأتبعه بخبط متتالي فأتت والدته مسرعة، سألها دون أي مقدمات: "فين بابا فاروق بيه؟".

فأجابت: "فاروق بيه!! أبوك نايم في أوضته، استنى لما يصحى وكلمه".

- "لأ، لازم أكلمه حالا، مفيش وقت لنوم وصحيان" .

- "في إيه يا أنور! مالك؟ عمري ما شفتك كده يا ابني، حالتك مش طبيعية".

وعلى صوت حديثهما استيقظ الآخر، ثم أتى إليهما: "مالك يا أنور! في إيه؟ صوتك أنت وماما واصل للجيران"، وفجأة دون أي مقدمات أو اكتراث وبمباشرة تلقائية سأل أنور: "هو حضرتك تبقى مين؟".

قاطعته أمه: "أنت اتجننت، أنت إيه اللي بتقوله لأبوك ده؟".

- "أنا عرفت كل حاجة، بس عايز أسمع منه هو الحقيقة".

جلس الرجل وكأنه استيقظ على كابوس لم يكن بحسبانه، وكيف لا وقد مرّ عليه عقدان ويزيد، ثم تكلم بهدوء: "يا ابني كان لازم ييجي يوم وتعرف الحقيقة اللي أنت بتقول عليها، لكن والله ما في يوم حسيت فيه إنك مش ابني، أنا مبخلفش ومن ساعة ما شفتك وأنت ابني، اتجوزت مامتك اللي جات بيك إسكندرية ومكانتش ليها حد، بقيت أنت وهي من وقتها كل عيلتي وناسي".

- "ليه محدش حكالي كل ده؟ ليه أنتِ معرفتنيش؟"، ثم نظر لوالدته التي أجابت هي بسؤال آخر: "وأديك عرفت، إيه النتيجة؟".

- "النتيجة إني شُفت أخويا من شهور ومعرفتوش، والنتيجة إن أبويا كان بين الحياة والموت وأنا مش عارفه، والنتيجة إنه مخطوف من أسبوع وما أعرفش عنه أي حاجة".

نظر إليه فاروق بعين ملأها الحزن: "وأنا يا أنور، مبقتش بابا؟".

- "ما أقدرش آخد منك لقب بابا، لكن سبني الأول أشوف أبويا اللي في إيدين خونة معدومين ضمير"، وغادر البيت غير مكترثًا لنداءات أمه: "توفيق.. توفيق.. طيب عرفني رايح فين....؟".

- "شُفت يا فاروق، قلت لك هييجي يوم ويلاقي طاهر أبوه، وأديه جه اليوم، لكن مين أخوه ده كمان؟".

هناك في بدروم إحدى فيلات شاكر الجوهري كان الحاج سعيد أو طاهر إن شئنا أن نقول قابعًا في السرير منعزلًا عن كل ما يحدث بالخارج من مفاجآت، فتوفيق لا يدري بمكانه وأنور الذي بات عالمًا بقصة خبأها منذ سنوات وسنوات لا يعرف له طريقًا، فولداه منعزلان عنه

وأحدهما لا يدري أنه والده وهو يصارع الموت فما هذه الحالة المعقدة التي قد يرثي لها الشعراء.

دقائق مرت وأتت إحدى الخادمات كي تُغير له المحلول ولم تكن خادمة بمعنى الكلمة فقد كانت على دراية بالكثير من شئون التمريض وكانت تعمل لدى شاكر منذ سنوات حتى صارت من المقربات لديه إلا أنها ترفض علاقاته القذرة التي لطالما عرضها عليها إلا أنها أبت، وهو لتعلقه بها لم يطردها وهي لحاجتها للعمل لم تترك عملًا يدر عليها مالًا ينفعها وإخوتها، رأت هذا الرجل فرقَّ له قلبها لما رأت به من طيبة ومآسي وحال رثة والحقيقة أنه لم يكن يطمح أبدًا أن يجد في هذا المكان أحدًا من ذوي القلوب الرحيمة، لما أحس فيها بذلك شيء داخلي جعله يطمئن لها، وطلب منها أن تخبر ابنه بمكانه ثم تراجع لما أيقن أن هذا قد يسبب خطرًا على حياته فهؤلاء المجرمون لن يتوانوا عن قتله إذا أتى إلى وكر لهم يمارسون فيه شطرًا من جرائمهم .

طلب منها فقط أن تخبره أن والده على ما يرام وأنه فقط بحاجة لأن يسمع صوته.

- "فقط هاتفيه وأخبريه، أرجوكِ يا بنتي"، هكذا قال لها، إلا أن الرعب ظهر عليها لمجرد التفكير في هذا الأمر، فإن فعلت فلربما يقتلها هذا الرجل أو يأمر أحد رجاله بقتلها ولا يبالي، وقد قرأ هذا في وجهها فطمأنها قائلًا: "ربنا هيسلمك منه ومن أذيته، ولازم في يوم حد هييجي ويكسره، ما هو كل ظالم زي ده ليه يوم يا بنتي، أكيد زي ما ظلمني ظلمك أنتِ كمان، وأنا يا بنتي مش عليَّ والله، أنا على ابني اللي زمانه هيتجنن بره، طلبي منك بس تعرفيه إن أنا بخير".

قالت: "طيب يا عم الحج، أنا هعرفه إزاي أنا عمري ما شفته ولا أعرفه؟".

- "أنا يا بنتي حافظ رقم موبايله، هقولهولك وأنتِ اتصلي وبلغيه ومهما ألح عليكِ إنك تعرفيه مكاني إوعي يا بنتي تقولي له" .

- "حاضر يا عم الحج، بس يارب تعدي على خير".

أحضرت ورقة وقلمًا وكتبت الأرقام التي أملاها عليها، فلم تكن تحمل هاتفها في هذا الوقت وأكد عليها أن تخبره اليوم، فوعدته أن تهاتفه وتخبره فقط بما أراد منها أن تخبره دون زيادة منها أو نقصان.

وفي تمام التاسعة رقم غريب ظهر على شاشة هاتف توفيق، فكان السؤال البديهي من هذا؟ إلا أن هذا متوقعًا جدًا في هذه الظروف الغامضة التي يمر بها .

- "آلو، مين معايا؟".
- "أنا واحدة من طرف والدك، هو بيطمنك إنه بخير ومتقلقش" .
- "أنتِ مين؟ وهو فين دلوقت؟".
- "هو بس طلب مني كده، وسامحني مش هقدر أقولك حاجة تاني، سلام".
- "آلو.. آلو.. آلو"....

أغلقت الهاتف ولم يستطع أن يحادثها مجددًا .

جاء أنور مرة أخرى إلى المستشفى لكن في هذه المرة بيقين آخر وبقلب آخر، قلب جعله ليس ضابطًا فحسب بل ضابط وأخ وابن.. الكثيرون قد شاء القدر أن يجعلهم في شخص واحد واهتمامه تضاعف ومشاعره باتت ملتهبة وحقده على خاطفي ومشردي ذلك الرجل صار

جبلًا ضخمًا، فقد أصبح ذلك الرجل ليس مجنيًا عليه فحسب، بل صار والده المجني عليه .

ما إن وصل إلى المستشفى حتى صعد إلى الطابق الثاني الذي به غرفة نها ولابد نوره وتوفيق في نفس مكانها، وفي طرقه هذا الطابق وجد توفيق جالسًا على أحد المقاعد تائهًا في شيء ما، ممسكًا بهاتفه الذي بدا هو سبب هذا الشرود .

- "توفيق.. كلامك صحيح، وعرفت كل حاجة منهم".

- "بابا يا أنور في خطر وعايز يبعدني عنه، لسة واحدة مكلماني وقالت إنه طلب منها تطمني عليه، ورفضت تقول لي على مكانه، هو أكيد اللي طلب منها كده".

- "لو اتكلمت تاني هنقدر نحدد مكانها بس أول ما تكلمك حاول على قد ما تقدر تطول معاها وتعرفني".

- "أنا حاولت أكلمها تاني، رنيت عليها أكتر من 10 مرات، لكن الموبايل مغلق".

- "تفتكر يا توفيق مين يعمل حركة زي كده، يخطف بابا، يحاول يقتلك والرصاصة تيجي في نها.. تفتكر مين اللي ممكن يعمل كده؟".

- "أنا هقولك مين اللي عمل كده قطعًا، حاجة عرفتها النهاردة وأكدت كل شكوكي، أنا مرة شُفت نها واقفة مع رأفت وبتبلغه إن نوره في طريقها للمستشفى لما كانت رايحة تزور بابا، هي كلمتها وعرفتها إني هناك وخلتها راحت وبعدين بلغت رأفت، طبعا أنا وقتها احتقرت البنت دي، لكن النهاردة عرفت إنها كانت مجبرة على كده عشان مامتها" .

- "مالها والدتها، وإيه جاب والدتها في الموضوع؟."!

- "اسمعني بس، مامتها ست مريضة عندها سرطان، وهي أقرب صديقة لنوره وطبعا رأفت على علم بكده أكيد بيشوفها كتير معاها، فعديم الضمير استغل كده وخطف والدتها وبيهددها بيها لو ما ساعدتهوش في إنه يوصل لنوره هيخلي أمها تموت بالبطئ ولا تشوف أي علاج، أما لو عملت كل اللي تقدر عليه وقتها والدتها هتتعالج

وهيصرف عليها لحد ما تخف، فده ابتزاز واضح خلاها تبقى خاتم في صباعه".

- "أنت متأكد من الكلام اللي بتقوله ده؟".

- "الكلام ده يا حضرة الظابط قالتهولي النهاردة، وهي بينها وبين الموت خطوة، ومن غير ما تعرف إني شفتها معاه وهي بتبلغه بتحركات نوره، يعني مفيش أي دافع إنها تكون بتكذب".

- "يبقى كده رأفت ده مافيا وكان تايه، بس مسيره هيقع وساعتها مش هرحمه، لكن أقوال نها اللي أنت بلغتني بيها لازم تتسجل رسميًا في محضر عشان يطلع أمر ضبط وإحضار للكلب ده".

- "الأفضل نستنى دلوقت ونراقبه وهو هيوصلنا لكل حاجة وساعتها مش هيقدر يفكر ولا هيكون في أي داعي للإنكار، إنما دلوقت مش بعيد لو عرف يقتلها ويخفيها، ولا هيكون في أي دليل ضده، وكمان لو طلعنا إشاعة إن نها ماتت ده هيخليه يطمن أكتر ويتصرف بتلقائية وهو اللي يدلنا على مكان والدتها".

- "توفيق.. هو مين الظابط فينا يا ابني؟! ما شاء الله دماغك دماغ رئيس مباحث ده أنا جنبك لسة سنة أولى".

- "لأ بس ما تكبرنيش قوي كده يا حضرة الظابط، أنت بس عشان حاجات كتير جت مرة واحدة فوق راسك، فكتر خيرك" .

- "طيب تسلم يا مواطن ياللي في خدمة الشرطة اللي متمثلة في أخوك هههههه، تعرف يا توفيق.. أنا بضحك وهموم الدنيا كلها فوق دماغي ومرة واحدة لقتني جوه لغز كبير، أبويا طلع مش أبويا وأبويا مخطوف وحياته متهددة، لكن الجميل إني لقيت أخ زيك بعد ما عشت كل ده من غير أخ، لكن تعرف.. الحقيقة أبويا اللي عشت طول عمري بقوله يا بابا عمره ما حسسني ولو واحد في المليون إنه مش أبويا.. خوفه عليَّ وحبه ليَّ ولما دخلت كلية الشرطة كان أسعد يوم في حياته، عملي يومها حفلة وجابلي العربية اللي معايا دلوقت".

- "ربنا يبارك فيه يا أنور، كلامك عنه بيقول إنه راجل فعلا بمعنى الكلمة".

- "المهم دلوقت أنت كلامك كان جميل وعقلاني، إحنا هنتواصل مع الصحافة وهنزل بكرة خبر وفاة نها بعد إطلاق طلق ناري عليها من قبل مجهولين، وأنت تخلي نوره تبين ده لزمايلها ولكل حد قريب منها في الجامعة أو حتى تنزله على صفحتها في الفيس بوك، وبإذن الله مسألة أيام ويقع البلطجي ده وأبوه وكل اللي معاهم".

- "لكن أنا في حاجة كمان مقلتهاش ليك، لكن أرجوك تسيب لي أنا ده" .

- "مين ده اللي هسيبهولك؟" .

- "لأ دي قصة طويلة، واحد دجال ونصاب تقريبا معاهم في كل اللي بيعملوه ده، شُفت قبل كده رأفت رايح جاي عليه وحصل منه حاجات معايا يطول شرحها لكن دلوقت هو تحت إيدي متقلقش مش هيقدر يفلت".

- "ده شكله كمالة المصايب، بس أكيد وراه حاجات مش حاجة واحدة".

- "وراه بلاوي لكن هيقر بكل حاجة وأنا جبته بطريقة لما تعرفها هتموت من الضحك".

- "المهم دلوقت هو لك يا صديقي وأنا واثق فيك لحد ما نعوزه".

انتهيا من حديثهما ثم ذهبا غرفة نها التي استقرت حالتها تمامًا ونُقلت إلى غرفة عادية بالمستشفى ونوره بجوارها لم تتركها هي ووالدتها، كانت نها فتاة جميلة بمفهوم الكثيرين من الشباب، لقب "مزة" أقل لقب، إلا إنها مهذبة ولا تتعامل إلا في حدود اللياقة والأدب، وقد علمت تلك الفتاة بقصة ذلك الضابط الشهم الذي أنقذ حياتها وتبرع لها بدمائه كي تسري في عروقها كاتبة لها حياة جديدة بعد أن فقدت الكثير من دمائها، فلم يكن غريبًا أن تطرب لرؤيته وتشكره لجميل ما فعل معها وهي لم تزل بحالة ضعف لم تنته بعد، إلا أنه طلب منها أن تستريح وابتسم لها وشعر بارتياح غريب نحوها كما شعرت هي الأخرى بدمائه التي تجري في عروقها وقد لاحظ ذلك الجميع إلا أن نوره كانت تنظر إليهما نظرات كوميدية وكأنها تقول: "نحن هنا يا جماعة.. مش من أول نظرة يعني".

وقد شعرا بذلك فتراجع كلا منهما عن هيامه في الآخر اصطناعًا بالتراجع إلا أن الحقيقة أن كليهما كان سابحًا في الآخر بشكل لا عودة منه إلى شاطئ مرة أخرى.

استأذن أنور واصطحب معه توفيق وانصرفا، وقبل أن يغادر أنور طلب منه أن يحاول الاتصال أمامه بتلك المرأة التي أخبرته عن أبيه إلا أنهما لم يظفرا بالجديد فقد وجدا هاتفها لا يزال مغلقًا.

إذن نزلا معا وتوجه أنور نحو مكتبه في قسم الجيزة وتوجه توفيق نحو لوكاندة ليالي النسيان ليجد نعمة تستقبله بالأحضان التي يخافها منها، وسألها أول ما سألها عن ذلك العجوز الهرم فأخبرته أنه في مكانه الذي أمرها ألا يغادره.

اتجه نحوه وفتح الباب مبتسمًا: "ازي الحال يا شيخ؟ في جديد ولا إيه؟".

- "كل دقيقة في جديد يا ابني، الدنيا بتدور والمستور راح يكون مظهور بس عدم الاستعجال شيء مطلوب لجل ما نلاقي المرغوب يا ابني" .

- "أنت هتجنني، استعجال إيه؟ اللي طلبته جبتهولك من أسبوع وتقول لي استعجال! اخلص عشان أنت فعلا بدأت تعصبني".

غادره دون أن يستمع لكلمة أخرى منه، وأغلق خلفه الباب، وأوصده من الخارج بالقفل الحديدي، وخطوات قليلة ووجد المرأة التي تراوده منذ رأته وهو غير مكترث بها إلا إنها تفعل كل ما يرضيه دون أي نقاش، قالت له بصوت ملأه الدلال: "أنت مش ناوي ترضى بقى عني يا جميل؟ أعملك إيه عشان ترضى عليَّ؟".

- "يا ست أرضى عليكِ أعملك إيه يعني؟ ."!

أجابت: "تعمل اللي يرضيني زي ما بعمل اللي يرضيك، ده حتى حرام"، قالت ذلك وهي تتمايل كأنثى الأفعى المدللة.

فما كان منه إلا أن تأفف وغادرها متجهًا نحو الباب كسابقاتها من المرات، وما إن وضع قدمًا خارج اللوكاندة حتى وجد الرقم الذي تحدثت منه تلك المرأة التي أبلغته عن حال والده فهرول عائدًا إلى نعمة طالبًا هاتفها الذي أعطته له دون سؤال، فاستخدمه واتصل بهاتف أنور

الذي رد سريعًا ليخبره: "الست اللي كلمتني عن بابا معايا على الخط أهي، هرد عليها حالا".

وكان أنور قد دبر أمره لهذا مع أحد زملائه المختصين بالاتصالات وما إن بدأ توفيق في محادثتها حتى استطاع أنور أن يحدد مكانها، وهي التي أخبرته مرة أخرى بناءً على طلب والده أنه بخير ويطلب منه أن يطمئن، ثم أغلقت الهاتف كمراتها السابقة دون أن تعطيه فرصة للكلام، لكن هذه الدقيقة كانت كفيلة بتحديد مكانها الذي انطلق أنور بصحبة قوة من الشرطة نحوه في الحال.

لم يكن صبحي – المكلف من قبل شاكر بمراقبة ومعاملة إخضاع لبنى ـــ راغبًا في إخباره بما قد يتسبب في انتقام ذلك الذي لم يتوان عن زهق روحها إن علم بإمكانية إيقاعها ضرر به أو بابنه حتى وإن كانت غير متعمدة، إلا أنه لم يكن يغض طرفه عنها بناء على تعليمات شاكر الجوهري وهو بدوره رآها غير مرة تهاتف توفيق، وهذا لا شك إن علم به صاحب عمله فسيُجن جنونه، وستكون لبنى في مرمى نيرانه، وهو

بداخل نفسه لا يريد لذلك البنت المسكينة أن تدفع حياتها لقاء هذا، فطالما أُعجب هو الآخر بصلابتها في مواجهتها لذلك الرجل الذي أخضع الكثيرين حتى هو، إلا أن هذه الفتاة كانت عصية على كسرها، وها هى لا تحسب أى حسبان لغضبه غير مكترثة بما قد يلحقه بها في سبيل أن تريح قلب ذلك الشيخ المصاب، فتهاتف ابنه وتطمئنه على والده رغم ما قد يلحق بها من أذى وجرائر وخيمة.

لم يكن أنور إذا أردنا أن نصفه إلا كرصاصة قد ضغط أحدهم على زناد مسدسها فانطلقت باحثة عن مصرع من تعدوا كل الحدود فباتوا يخطفون ويقتلون ويأسرون دون مهابة ضمير أو خشية قانون، وكان قد تم تحديد مكان الاتصال في مكان بين حديقة حيوان الجيزة ومصنع الجوهري للحوم والمكان بالتحديد هو فيلا الجوهري بحي الورداني، إذن فقد توجه صوب هذا المكان بصحبة قوة من رجال الشرطة إلا أن الخبر قد وجد طريقه للجوهري وعلم بقدوم البوليس وباستخدامه لبنى في ذلك التي أعطتهم خيطا للتعقب، نعم قد علم بذلك، فكلف صبحي

بقتلها وإخفاء جثتها ونقل سعيد إلى مكان آخر حتى إذا جاءت الشرطة فبماذا سيدينونهم، فلا يوجد أي دليل يضغطهم في خانة استحقاق التحفظ عليهم.

اضطر صبحي خشية من لا يرحم إلى إطلاق النار على لبنى من مسافة قريبة فقتلها ودفنها في حديقة الفيلا في مكان سري غير متراء للعيون، وبمعاونة اثنين من رجال الجوهري نقلوا الحاج سعيد إلى مكان قريب من الفيلا بواسطة باب سري كان قد أُقيم لهذه الأغراض، لم تمض عشر دقائق أو يزيد قليلا حتى أتى أنور وأمر بضعة عساكر بمحاصرة المكان، واندفع هو مع بضعة آخرين نحو الداخل ليجد بعض الحراس، فسأل أحدهم بلهجة قوية: "مخبيينه فين؟"، فضحك أحدهم ساخرا من السؤال: "هو حضرتك داخل حضانة! مين اللى مخبيينه فين؟" .

رد أنور غاضبًا: "اتكلم بأدب، أنا هوريك مين اللي مخبيينه فين، بس وقتها مش هرحمكم لا أنتم ولا اللي مشغلكم".

بدأ بتفتيش المكان، أولا الفيلا من الداخل فلم يعثر على أي شيء فخرج غاضبًا حانقًا وأمسك بأحدهم من ياقة قميصه قائلًا: "أي فيلا

فيها بدروم، فين الباب اللي بيودي للبدروم"، ارتبك ثم أجاب: "ورا الفيلا باب حديد، هو ده".

ذهب نحوه فوجده موصدًا بقفل حديدي، لكنه لم يصمد، أمر بإطلاق النار عليه ثم دفعتين من العساكر فأنقض إغلاقه.

بدا مكانًا غريبًا غامضًا يحوي أشياء من الأعاجيب وها هم يفتشونه شبرا شبرا فلا شيء سوى كراتين تحوى علبًا من البيف ولم يتبق سوى غرفة واحدة باتت هي الأمل الوحيد الذي ربما يقود نحو دليل ما، انقض أنور نحو الباب وفتحه دون أناة فوجد في مواجهته سريرا معدنيا تعلوه مرتبة متآكلة، لا تنتمى للآدمية في شيء وقبل أن يشيح بناظريه وقعت عيناه على زجاجة من زجاجات المحلول الملقاة على الأرض فمال بجسده نحوها وأمسكها ثم نظر أسفل السرير فوجد عمودًا معدنيًا كان يُثبت عليه المحلول فأيقن أن هذه الغرفة كانت مكان احتجاز والده، حينها بعث أحد المعاونين ليُحضر أحد رجال الجوهري من الخارج، فجاء بأحدهم وسأله أنور بهدوء متصنع: "مين اللي كان في الأوضة هنا وباين وصلت معلومة إننا جايين فخبيتوه في مكان تاني؟" .

رد الآخر: "محدش كان موجود هنا".

- "أمال أنا اللي كنت باخذ المحلول ده"، ولم يتمالك نفسه ولطمه على وجهه لطمة عنيفة: "انطق.. وديتوه فين؟".

قال الآخر مرتعدًا: "أنا كل شغلي إني بحرس الفيلا وما أعرفش غير كده".

- "أمال مين اللي كان هنا من شوية؟".

- "في بنت اسمها لبنى هي اللي كانت هنا إمبارح، بتوضب إمبارح".

- "مين، لبنى مين؟".

- "دي شغالة في الفيلا".

أدرك حينها أن لبنى هي من كانت تحادث توفيق في الموبايل.

ثم عاود الأسئلة: "وفين لبنى دي دلوقتي؟".

- "من إمبارح ما شفتهاش ولا لمحتها".

- "طيب، جدع يا..، أنت اسمك إيه؟".

- "اسمي صالح سعادتك".

- "جدع يا صالح، ويا ريت لما تشوف لبنى تبلغني وما تخافش، محدش هيأذيك".

وبينما يغادر المكان غير ظافر بشيء إلا مزيدًا من التعقيد يصيبه شك وشعور بالتقصير، أما عن الأول فمن أخبر هؤلاء بقدومه فسارعوا إلى إخفاء أبيه الذي لا يدرى الكثيرون أنه أبيه، وأما عن الآخر فشعور التقصير يعنفه ويؤنبه، فماذا لو وصل مبكرًا قليلًا؟ ماذا لو داهمهم قبل استطاعتهم المراوغة؟ وهل ستأتي الفرصة السانحة لاجتثاث هؤلاء؟

كانت إجابة السؤال الأخير هي ملاذه الوحيد إلى شيء من الراحة، فلا بد أن تأتي بل ربما باتت وشيكة وأقرب مما يتصور، ربما خيط رفيع يقوده نحو حل كل تلك العقد والتساؤلات.

حيث الباب الخارجي قبيل مغادرة عربات البوليس، لمح أنور شخصًا، وكأن الأرض انشقت عنه، قادمًا من ناحية الحديقة، قميصه الأبيض يشوبه لون أحمر فبات هذا جدير بالملاحظة من بعيد وقريب على حد سواء، وذراعان يخضبهما طين حديث، فما كل تلك الريبة؟

توجه توفيق نحوه مسرعًا كباحث عن عود من القش في ظلمة بحر لم يلح له شاطئ، لكن هذا رأى فيه بادرة شاطئ تقود نحوه راحة وحلًا لهذه القضية.

رأى الرجل أن سيارات الشرطة لم تزل على أبواب الفيلا، ثم فوُجئ بأحد الضباط قادمًا كالبرق الصادم فتملكه الذهول وودَّ لو تأخر قليلًا، وأدار ظهره محاولًا الهرب فصرخ توفيق: "خليك مكانك"، وصوب نحوه مسدسه إلا أن الآخر آثر الهروب وأسرع في الجري، فما كان من أنور إلا أن أطلق النار صوب قدمه، فمن غير الممكن أن يترك هذا الخيط الذي قد يقوده نحو والده، وربما نحو من حاولوا قتل نها وربما أيضا من قتلوا أم وشقيقة أخيه، وجعلوا من حياته كابوسا لم يستيقظ منه حتى الآن.

نتابع ما حدث وما حدث جدير بالمتابعة، فقد أصاب أنور قدمه فسقط أرضا وهرول الأول نحوه حتى وصل إليه: "مالك بتجري ليه؟ حلو كده اللى جرالك؟"، قالها بفكاهية دخيلة على الموقف، إلا أن الآخر لم يكن قادرا على تحمل الألم فالرصاصة قد استقرت أسفل ركبته وكانت

صرخاته قادمة من قاع الندم قبل الألم الكفيل لجعله يصرخ بشدة، فها هي جرائر جريمته وطاعته لذلك الشيطان بدأت أولى خطواتها.

سأله أنور: "إيه الدم اللي على كم قميصك ده؟ والطينة اللي مبهدلة هدومك؟ وفين لبنى؟"، سمع هذا الكلام فجحظت عيناه وجمد ما تبقى به من دماء لدرجة أنه توقف عن الآهات والصرخات إلا إنه لم يتكلم ببنت شفة، فاستكمل أنور: "فين الراجل اللي كان في البدروم؟"، لم يجب ذلك الرجل على أي سؤال من تلك الأسئلة حتى غلبه الألم والنزيف وفقد الوعى، نظر أنور حوله فوجد قطعة قماش قديمة ملقاة على الأرض فربط بها جرحه، وكان العساكر قد لحقوا به فحمله اثنان منهم نحو الباب الخارجي ووضعوه في سيارة الإسعاف التي قدمت مؤخرًا كي تنقل ذلك المصاب إلى مستشفى قريب، فكونه مجرمًا لا يسلمه حق الاستشفاء إضافة لذلك فقد بات هو العامل الأهم في ما يدور من أحداث وربما يقود نحو حل لهذه القضية .

مستشفى الزهور كالعادة هو الأقرب دائما لهذه الأمكنة، وما مرت سوى دقائق حتى استقرت أمامه سيارة الإسعاف وخلفها سيارة شرطة

يقودها أنور الذي يعلم تمام العلم أنه سيتم محاولة التخلص من هذا المتهم، فإمكانية أن يبوح بشيء أمر يهدد محرضيه، ولا بد أن الجوهري سيرسل عاجلا من يكتم أنفاسه إلى الأبد، فكلامه يعني هلاكه ومؤكد لن يغامر بهذا في سبيل حياة ذلك الذي يمتلك منه الكثير حتى وإن كان في مقدمة رجاله لكنه في نظره وحساباته لا يقارن أبدا بما يشكله من خطر الآن، واستغلالا لما قد يحدث فعليه أن يبقى مراقبا لغرفة صبحي عن كثب، فإمساكه بمن قد يقتله أو سيحاول قتله سيكون القشة التي ستقسم ظهر البعير وتكشف كل ما استتر حتى الآن.

أدخلوه في الحال إلى غرفة العمليات وأخرجت الرصاصة ثم نُقل إلى غرفة في الطابق الثالث بالمستشفى، ومرت الساعات المتبقية من النهار وأنور قابع في المشفى ينتظر ليرى ما سيحدث وقد ارتدى زيا لموظفي النظافة وبات لا يغادر هذا الطابق وفي تمام الساعة الحادية عشرة قبيل منتصف الليل لاح من نهاية الطرقة طبيب، عيناه تتجهان يمنة ويسرة ويبدو عليه الحذر والارتياب، حتى أن قدميه تبدو وكأن الأرض تجذبها جذبًا، تتعثران في مغبة ما قد يكون تم تكليفه به، في هذه الأثناء رأى

أنور أن ما قد قام بحسابه بات وشيكًا ليتمثل أمامه ما قد كان مجرد سيناريو تخيله منذ ساعات قليلة، وبالفعل وصل ذلك الطبيب أمام غرفة رقم309 وأمسك بأكرة الباب ودخل وهو في قمة الحذر وأغلق خلفه الباب، انطلق أنور مسرعًا نحو الغرفة وفتح الباب ليجد الآخر يضع شيئًا يشبه الماسورة الصغيرة على فوهة مسدس، علم في لحظتها أنه كاتم للصوت، فحاول أن يمنعه باندفاعه نحوه رافعا سلاحه في وجهه إلا أن الآخر رأى أن الهرب بروحه أهم من القيام بمهمته حتى وإن قتل شخصًا آخر، وفي لمحة نظر أطلق رصاصة نحو أنور بشكل عشوائي فكل ما يريده أن يُبعده عن الباب الذي وقف أمامه، وقع أنور مستلقيًا على الأرض وهرب الآخر.

اصطدم بتوفيق أثناء نزوله مهرولًا، أحس توفيق أن هناك خلف هذا الرجل حادثة، إلا أن هذا لم يكن مبررًا كافيًا كي يمسك بطبيب كما يبدو عليه وهو أيضًا لا يعرفه، وبينما يصعد السلم إذا بضجة وجلبة وممرضات يسرعن صعودًا وهبوطًا، وبدا الوضع كارثيًا لدرجة ملحوظة إلا أنه لا يعرف مصدر هذا كله، ومرت بجانبه إحدى الممرضات

وحجمها السمين إلى حد ما هيأ له فرصة سؤالها، فلم تكن تهرول كالباقين رغم ما بدا عليها من اهتمام بما يحدث في الأعلى وكأن ما حدث يخص أحد أقاربها لفرط ما

على وجهها من تأثر بما حدث، سألها وهي تحاذيه صعودًا على درجات

السلم موجهًا رأسه لليسار نحوها مع استمرارية الصعود: "إيه اللي حصل

يا آنسة؟" .

وكان باديًا عليها سنًا صغيرة – أجابت: "لقوا واحد فوق مضروب بالرصاص في بطنه، وحالته خطر ومش لاقيين ليه حد يتبرعله بالدم، بيقولوا فصيلته (-AB) ودي حاليًا مش موجودة في المستشفى.. ربط سريعًا بين ما قالته وبين ذلك الطبيب الذي لم تمر على رؤيته دقائق، سألها سريعًا: "ومين اللي عمل كده؟ مسكوه ولا لأ؟".

- "كأنه عفريت مفيش أي أثر"، قالاها في نفس الوقت: "عن إذنك"، ثم أتممت هي: "أكيد محتاجيني فوق"، وهو أدار نفسه نازلًا

بأقصى هرولة واندفاع محاولًا إدراك ذلك الرجل، فقد أصبح على يقين أنه

على علاقة بما حدث، لكن المؤسف أنه وصل حتى باب المستشفى ركضًا وخرج إلى الشارع ونظر إلى كل الطرقات بنظرات خاطفة حتى بدا كباحث عن الماء في وسط صحراء قاحلة، إن حالفه الحظ لن يجد بها إلا سرابًا يُهدئ للحظات من روع عينيه ولا يقترب من إطفاء نار جوفه، ولم يجد البتة أي أثر له فعاد إلى المستشفى ليجد ألمًا أُضيف إلى آلامه وقد راع قلبه أن يكون فقدًا جديدًا إلى سلسلة مفقوداته، لكنه إن حدث سيكون فقدًا لظهر.

فما مرت إلا أيام قلائل شعر فيها باقتسام العبء ودعم الأخ وراحة الصديق، كل هذا جعله صامتًا متصورًا لانقسام الظهر الأليم الذي قد يتعرض له إن قضى أنور نحبه جراء هذه الإصابة، لم يكن منشغلًا إلا بالدعاء والتضرع إلى الله فلا أمل إلا في لجوئه إليه، حتى دمائه لم يستطع أن يقدمها بعد إجراء تحليل الفصيلة، وفجأة تذكر ما قد كان قادمًا لأجله فنها في نفس المستشفى وفصيلتها نفس فصيلة أنور إلا إنها

مازالت في حالة قد لا تسمح لها بالسير فكيف لها أن تتبرع بالدم وكان ما طرق باله قد وصل إليها بذاتها وانتشر الخبر في طوابق وأرجاء المشفى وعلمت أن أحد الضباط كان متنكرًا في زي عامل نظافة وأصابه أحدهم بطلق ناري قد يودي بحياته وكيف لا ينخلع قلبها وقد أخبرتها نوره بخوفه عليها وبما فعله لأجلها بسكبه دمه في دمها.

حين علمت نها بما حدث انتفضت جالسة على سريرها متوسلة نوره أن تتقصى لها أخباره في توسل إيحاؤه شغف اختلط بالخوف المبعوث من حب لم تكن قادرة على إخفائه حتى وإن أرادت أن تبقيه متدثرًا في أعماق قلبها.

نظرت لها نظرة مداعبة مغلقة عينها اليمنى ثم أتبعتها بقولها: "حاضر يا جميل، ولو هو متخافيش هيقوملك زي الحصان"، ثم غادرت الباب حتى دون أن تسمع تعقيبها الذي تعرف كلماته قبل أن تسمعها، نزلت طابقًا إلى الدور الخاص بغرف العمليات فوجدت توفيق باكيًا ووالدها الذي جاء منذ نصف ساعة يطمئنه ويسري عنه، بدا عليها الضيق والحزن حين رأته باكيًا وجاء الاستغراب ليُكمل مثلث المشاعر.

تقدمت نحوهما مسرعة وسبقتها عبارتها: "في إيه يا بابا! توفيق ماله؟"، كان توفيق قد أخبره أن أنور أخوه وقد وجده بعد غياب سنوات وسنوات لم يره قط فيها، ولم يعلم فيها له سبيل، بل لم يعلم حتى بوجوده طوال حياته السابقة، وطلب منه أن يُبقي هذا دون إخبار أحد في هذا التوقيت حتى نوره وهذا ما برر جوابه لها: "أنور اللي شفتيه اتبرع لنها بدمه قبل كده – الضابط - مصاب وجوه في العمليات، حالته صعبة وفقد دم كتير بس الحمد لله طلعت فصيلة أبوكِ نفس فصيلته وأخذوا مني كيسين دم ويارب يقومه بالسلامة".

فاجأها بسماع جملة: "أخذوا مني كيسين دم" تسللت اللوعة إلى محياها قائلة: "طيب وأنت يا بابا عامل إيه دلوقت؟ أنت كنت تعبان من يومين"، ثم استدارت فجأة وكأنها تذكرت شيئًا وقالت وهي تبتعد لخطوات: "هنزل الكافيتريا بسرعة أجيب لك عصير يا بابا، خليك جنب توفيق وأنا جاية حالًا".

شعر توفيق وكأنه نسي أن يفعل لفرط ألمه وخوفه فأسرع نحوها قائلًا: "تعالي أنتِ يا نوره خليكِ جنب بابا وأنا هجيب له عصير من

تحت مش هتأخر"، قالت محاولة أن تخفف عنه: "لأ بس خليك أنا بسرعة وجاية أهو"، ثم أسرعت في خطواتها في مشية تشبه الركض الخفيف ولم تمض ثوان حتى عادت في رشاقة الغزلان حاملة كيسًا شفافًا به زجاجات من العصير والحليب تركتها لهما ثم أخبرتهما أنها ستُلقي نظرة على نها .

- "اتأخرتِ ليه كل ده، إيه اللي لقيتيه؟!"، هذا ما قالته نها.
- "يا شيخة استني عليَّ آخد نفسي" .
- "مين اللي كانت الممرضة بتحكي عنه؟ طلع مين؟".
- "أنور، بس والله مش بضحك عليكِ هو دلوقت كويس، بابا نفس فصيلته ومعاه هو وتوفيق تحت أهو".

تظاهرت نها بالاطمئنان حتى لا تثير شك نوره في أمر قد تفعله، ثم أردفت: "ربنا يقومه بالسلامة، انزلي أنتِ بقى اتطمني على عمي ممدوح وتوفيق وأنا هستناكِ، بس بسرعة، وتعالي طمنيني".

- "خلي بالك من نفسك، وأنا دقايق وجاية".

- "مستنياكِ، متتأخريش".

تأكدت أن نوره غادرت، ثم حاولت النزول من أعلى السرير وقد كانت تحسنت قليلًا إلا أن إصرارها جعله يبدو كثيرًا، فكيف لها تتركه ينزف وقد استنزف دمه في عروقها؟ وربما لولا ذلك لما كانت على قيد الحياة الآن، هكذا كان فكرها وذاك كان لسان حالها.

وصلت نحو الباب ثم نادت إحدى الممرضات ورجت منها أن تأتيها بالطبيب، ولم يكن يوم الاثنين هو يوم الطبيب المتابع لحالتها إلا أن الممرضة رأفت للوعتها وسألتها في حنان الأم: "أنتِ بتشتكي من حاجة غير اللي الدكتور طمنا عليها؟ قوليلي عايزة إيه وأنا هعملهولك يا حبيبتي وإيه قومك من سريرك وأنتِ لسة تعبانة؟".

- "لو سمحتِ هطلب منك طلب وأبوس إيدك تعملي اللي هقولك عليه وأوعدك اللي هتعمليه هيكون سر بيننا ولا أي حد هيعرفه بس أرجوكِ تسمعي كلامي وتفهميني"، قالت هذا بفم متعب وبعينين ملأها الرجاء والتوسل على أقل تعبير.

- "هفهمك وهساعدك بس قوليلي عايزة إيه؟" .

- "في هنا في المستشفى ظابط مصاب – حد ضربه بالنار – من 5 أيام، الظابط ده اتبرع لي بدمه وأنا كنت بموت ودلوقت هو اللي بيموت، أرجوكِ خدي مني وانزليلهم بيه تحت، أنا عرفت إنه محتاج دم وكان في مشكلة في إنهم يلاقوا له".

- "أنتِ تعبانة وما أقدرش أعمل حاجة زي كده من نفسي، لازم إذن الدكتور والدكتور دلوقت مش ممكن يسمحلك بكده، هتتعرضي لخطر".

- "أرجوكِ.. أنا هبقى كويسة، لو سمعتِ كلامي ده هيخليني أحسن، وبعدين مفيش وقت وأنا أهو قدامك حلوة وبكلمك وكويسة وأوعدك محدش هيعرف كده، وأنا هبقى بخير والدكتور مش هياخد خبر".

- "موافقة بس بشرطين ولو ما اتنفذوش سامحيني مش هقدر لأنه كده أنا بعرضك للخطر وبتعرض معاكِ لخطر أكبر ولو حصل أي شيء مش بس هيمشوني من شغلي، دي تعتبر جريمة، لكن شايفاكِ أحسن

وأنا هساعدك لأني وعدتك لكن أولًا: هو كيس واحد، ثانيًا: بعده هتشربي نص لتر حليب".

أجابت بعينين ملأتها الراحة والسعادة: "موافقة رغم إني مش بحبه، بس بسرعة أرجوكِ".

أخذت الممرضة نها إلى غرفه التبرع، وبعد قليل عادت نوره وفتحت الغرفة فوجدت السرير فارغًا نادتها: "نها.. نها"، لكن لا أحد، فخرجت قلقة خائفة، تفتح في الغرف المجاورة بشكل عشوائي ولم تمض دقائق حتى وجدتها قادمة من آخر الطرقة بصحبة إحدى الممرضات فنظرت إليها بلوم: "أنتِ رحتِ فين؟ رعبتيني".

- "أنا بخي...."، ثم سقطت مغشيًا عليها.

ارتبكت الممرضة وارتعدت واستنجدت بإحدى زميلاتها وأدخلتاها غرفتها، قالت نوره: "كانت كويسة، هي راحت وجت بالشكل ده".

- "كانت بتعمل حمام وأنا كنت معاها" .

- "الحمام في أوضتها جوه، هو مالك في إيه؟ ."!

- "والله هي اللي طلبت كده، متخافيش هتبقي بخير".

وأدخلوها في سريرها وقاست لها إحدى الممرضتين الضغط فوجداه 50/90 وهذا يعني انخفاض ملحوظ في ضغط دمها، فعلقت لها محلولًا وما إن بدأت تستعيد وعيها حتى أعطتها كبيرة الممرضات قرص ميدودرين، ولم تمر دقائق حتى انتظم ضغطها، وكانت إحدى الممرضات قد نزلت بكيس من الدم(AB-) ، وحينها كان أنور في غرفة العناية المركزة حين أتت هذه الممرضة بما قد يُنقذ حياته.

كان هذا بمثابة هدية أرسلتها السماء، هكذا وصف الطبيب، فالحاج ممدوح غادر من دقائق حين ألَحَّ عليه توفيق كي يذهب ليستريح بيد أن أنور لم يكن حينها خرج من الجراحة حين نزف بحالة جعلته بين فكي الموت.

خرج من العمليات لكنه ليس على ما يرام وحين أتت هذه الممرضة بالدم باتت كملاك رحمة أرسله الله حتى أن أحدًا لم يسألها من أين ومتى ومن أخبركِ، فقط مدون عليه (AB-) كانت كفيلة بالتقاطه وتركيبه في شريانه كي يعوض جزءًا مما نزف.

وهناك في ليالي النسيان استطاع العجوز أن يحتال على الست نعمة حين نزلت إليه تعطيه طعامه عبر نافذة في أعلى الباب، حينها تظاهر بمعاناة هي وسكرات الموت سواء، وآلام لا تعادلها آلام تشريح جسد حي، حينها فتحت الباب لترى ما أصابه وما إن وضعت قدمًا داخل الغرفة حتى أنزل على رأسها عصاة معدنية سميكة كانت هي الأداة الوحيدة لذلك الغرض في الداخل فوقعت على الأرض دون أن تقاوم ولو شبه تفوه بكلمة آه، رطمها على رأسها من الخلف ضربة صفتها "ضربه موت"، وكيف لا يفعل وهي التي أوقعت به، إيشارب أحمر موضوع على رأسها دون إحكام وقميص أسود من القطيفة يستر حتى أسفل ركبتيها بقليل، لم تكن بالسيدة الممتلئة ولا بتلك الهزيلة، ووجهها تعلوه حُمرة وشباب رغم تجاوزها سن الشباب، لنقل كان هذا كفيلًا أن يجرجر ذلك الرجل دون حتى أن يعرف ماهيتها ولا إلى أين تأخذه.

حين سقطت الست نعمة على الأرض وقعت أمامه وصار ما قد كان يستر حتى ركبتيها فاضحًا لما يعلو ركبتيها، وتنافر الإيشارب عن شعرها الأسود الذي خضبت القليل منه بالحناء، وما كانت حالتها إلا مسيلة

للعاب ذلك الرجل الذي جاوز الستين ببضع أو يزيد، قال بصوت ملأته نشوة الانتقام المختلطة بلهاث المغتصب: "أديكِ بقيتِ بين إيديَّ يا نعمة عشان تعرفي تلعبي على عكاشة"، ووقع عليها ممزقًا لقميصها دون خشية غيابها من الواقع أو ربما الحياة !

قضى الشيخ عكاشة ما قضى منها، ثم سحبها حتى ملتقى الجدارين ووضعها، وعدَّل من هيئته وغادر الغرفة التي حُبس بها ما يقارب الشهر .

صعد الثماني درجات التي تنتهي إلى باب خشبي صغير يُفتح على مكان استقبال الزبائن، فتح ذلك الباب فوجد أمامه صبيها الذي كانت تناديه بـ "حلاوة"، سأله: "أمال ستك نعمة مش باينة! هي راحت فين؟".

رد الآخر: "تلقاها راحت تجيب طلبات وزمانها جاية".

- "لما توصل عرفها إن عمك مرزوق سأل عنها اوعى تنسى"، ثم تركه وذهب وأخيرًا خرج إلى الشارع الذي أُحتجز تحت أرضه أيام وليال، لكن هل يذهب صوب وكره؟ رأى في هذا هلاكًا، فلا شك

القليل وسيُكتشف أمره، فماذا هو بفاعل؟ لم يجد بدًا من الاستنجاد برأفت، لكن توفيق كان قد أخذ هاتفه.

اقترب من أحد المحلات التي وُضعت أعلاه يافطة كُتب عليها (يوجد كروت شحن وموبايل)، فراقت له الثانية فاقترب وكانت له ذاكرة يُحسد عليها، فلا ينسى من الأرقام ما استخدمه لمرة، ولا ينسى وجهًا رآه ولو مرت سنون، مناط الأمر أنه ضغط الأرقام ثم ....

- "آلو.. هو ده يا رأفت الجِميل؟ شهر من غير ما حد فيكم يحرك صباع؟" .

- "جِميل إيه يا راجل يا متخلف! وإيه أحرك صباعي! أنت كنت من بقية أهلي، وغير إنه مجاش من وراك غير المصايب، كنت بتاخد أكتر من اللي بتقول عليه" .

- "عكاشة دلوقت بقى متخلف! هي دي آخرة خدمة الأندال"، أغلق الآخر هاتفه مفضلًا ألا يتبادلا السباب في وقت لا مجال فيه سوى للحقد والتدبير لإفناء خصمه الذي يتخطى كل تدبيراته ولكن بعيدًا عن ذلك العجوز الخرِف الذي رأى مؤخرًا أنه لا مجال لفائدة تُرجى منه.

وهناك في المشفى وجد توفيق سببًا يجعله يأمل في بارقة من السعادة حين أخبره الطبيب أن أنور قد تخطى مرحلة الخوف على حياته، وعلمت نها بذلك فأضاءت وجنتاها فرحًا بذلك النبأ الذي أشرق له قلبها، فالروح حين تلتقي بمن تصهر نفسها فيه تبدو غير مكترثة بما عداه، وهي قد انصهرت فيه ووجدت ضالتها في لياليه مذ رأته واستحوذ على قلبها وشعرت أنه يبادلها شوقها وجاء أعطاها من دمائه شاهدًا على ما جال في بالها فأنبت فيه بذور عشق توطدت جذوره دون سابق إنذار، وتعبر المشاعر عبور ذرات البخور في نسيم الهواء الطلق، لكنها وجدت طريقًا آخر يصحب هذا الطريق، ففي غرفة أنور استأذنت إحدى الممرضات توفيق كي يتركه هو وصديقه الرائد خالد زيدان الذي ما إن علم بإصابة صديقه حتى هرول هائمًا على وجهه حتى يطمئن عليه ويتولي أمر معرفة من ارتكب هذه الفعلة، فقد كان شريكه في دراسته وحضر معه لعمله وما انفصلا إلّا في هذه القضية.

المهم أنهما غادرا بناءً على طلب تلك الممرضة التي لامست بعينيها عِشق تلك الفتاة لهذا الضابط، رأت في إخباره تضحيتها لأجله وهي تعلم أنها قد تلاقي مصرعها – رأت في ذلك سعادة لا تعادلها سعادة، في أن تخبر قلبًا بأن هناك من لن يدخر قطرة في حياته لقاء بقاء من يحب، ليس باقيًا إلي جواره فقط بل تتنفس رئتاه نسيم الحياة وحسب.

عِلِم بهذا فابتسم، ثم ما لبث أن بدا مرتعدًا: "هي عاملة إيه دلوقت؟ وليه تعمل في نفسها كده؟ ليه تعرّض حياتها للخطر؟ وأنتِ إزاي توافقيها؟".

- "متقلقش.. هي بخير وحالتها مستقرة، ويومين أو أقل وهتخرج، الدكتور بلغها إن قريب هيكتبلها إذن خروج، هي بقت كويسة".

سرعان ما انسجم توفيق مع خالد، صديق أخيه المقرب، مما أهله لأن يعرف سرًا لم يعلم به الكثيرون، كيف لا يخبره وقد كُلف من رئيسه بإتمام خط سير القضية ريثما يتعافى أنور؟ وقد أعلمه توفيق مخبرًا إياه بأدق التفاصيل، فقد لمس فيه أمانةً وصدقًا ورغبة في الوصول لإحكام

القبضة على هؤلاء المجرمين، أخبره راجيا منه ألا يُعرف غيره من أقرانه حتى تمام شفاء أنور وإنقاذ والدهما الذي لا يعرفان عنه شيئًا منذ أن أُختطف من المستشفى الذي بات سكنًا لهم، فإما أبوه وإما أخوه أو باقي عائلته التي لم تنل حتى فرصة اللحاق بالمستشفى.

امتلأ خالد توقدًا وشعر أنه هو من عانى ما عاناه صاحباه وأقسم في داخله ألا يهدأ له بال حتى يسلّم من فعلوا كل هذا لعدالةِ ستكون عدالتها في استئصال بقاء أمثال هؤلاء يعيشون بين بني البشر.

أصبح أنور قادرًا على الكلام والإدلاء بما حدث وأخذت النيابة أقواله كما حدث مع نها وصارت ورقة ذلك الرجل المصاب (صبحي) هي ورقة الرهان، فأُبْقي تحت حراسة مشددة بعد أخذ أقواله، وكان من الطبيعي أن يرتعد فقد حيل دون قتله في آخر لحظة، ولولا دخول أنور غرفته لفارق الحياة.

لم يكن متزوجًا ولم يكن يملك ما يخاف عليه إلا حياته التي رأى أنها لا تساوي الكثير في ميزان من بعثوا لقتله عقب دخوله المستشفى، الجدير بالذكر أن خالد استطاع إقناعه بالبوح بما يعرف.

أدلى بكل خبايا المدعو شاكر الجوهري وذلك الشاب المستهتر الذي لم يجد من أبيه إلا دافعًا ليزيد في حماقته واستخفافه بعقول الناس بل بأرواحهم، وأخبره عن تلك السيدة المريضة التي اختطفها ليجبر ابنتها على التنصت على صديقة طفولتها وإلا فلن تكون آمنة على حياة والدتها، أخبره أيضًا عن علاقته بهذا الدجال الذي يدبر من الدماء ما يقتل أناسًا بسحره وتعاويذه، وصف لهم ما من شأنه أن يجعله متفوقا على هاروت وماروت، لكنهما كانا يقولا: "إنما نحن فتنة فلا تكفر"، إلا إن هذا قد يُسخِّر دماءً تسيل غدرًا في سبيل أموال تأتيه، ولم يكن أخصب مأربًا يأتيه ليفوق سبيل رأفت ذلك الشاب صاحب النزوات والفيلات، فلم لا يعينه إن كان سيملأ موضع حجره مالًا يعادل أحلامًا بالنسبة لدجالٍ قضى عمرًا في قراءة تحضير الأرواح وأسرار الدم وتسخير القتلة.

توجها صوب اللوكاندة وما إن دخلا حتى سأل حلاوة: "مشفتش الست نعمة؟ من إمبارح في الليل مش هنا، وسأل عليها راجل كبير في السن وذقنه غريبة ومترب وكأنه كان محبوس في مكان كله عنكبوت."!

- "وراح فين الراجل ده يا حلاوة؟".

هكذا قال توفيق بعفوية ملأها التوجس والقلق.

- "معرفش، هو سألني ومشي" .

ذهب توفيق فجأة نحو الباب الصغير المؤدي إلى سلم البدروم دون أن يبدي كلمة واحدة، وأتبعه خالد وخلفهما الفتى وما إن وصل توفيق إلى الغرفة التي احتجز بها ذلك الرجل حتى سقطت عيناه على بقايا جرائم قد استجمعتها الأيام فيما هو كائن أمامه – امرأة في ثوبِ ممزق ملقاة في زاوية الحجرة، شاح ببصره عنها فلم يطق أن يرى إحدى النساء هكذا فمهما كانت نظرته لها إلا أنه لا ينكر أنها ساعدته كثيرًا وكانت ترغب في رضاه، ربما لأغراض لم يكن ليرضاها إلا أنها مكثت عونًا له منفذة لما أمرها به طوال أيام معرفتها، لا لسلطة عليها ولكن لكونها فعلت راضية، مستنفرة لقواها في سبيله، والآن هذه المرأة ملقاة على هذه الحال، كيف تمكن هذا العجوز من هذا؟ وكيف جعلها تدخل الغرفة لتكون في مرمى ما فعل؟

لم يكن هناك سوى أنه من فعل، ودوافعه كثيرة لكن عثورهم عليه بات لا

اختيار فيه فأين ذهب؟ وكيف السبيل؟

ذهبت الجثة إلى المشرحة حتى تخضع لفحص الطب الشرعي ومعرفة سبب الوفاة الذي تبين عقب التشريح أنه نتيجة لنزيف داخلي في المخ أدى إلى وفاتها، كما تبين تعرضها للاغتصاب إبان هذا النزيف وربما بعد موتها بدقائق قليلة وصدر أمر نيابي بضبط وإحضار الرجل الذي وصفه صبي المجني عليها.

في هذه الأثناء كان العجوز يسعى للانتقام، وفي تمام العاشرة مساءً بلاغ من مجهول إفادته جريمة قتل في فيلا شاكر الجوهري والمقتول الأخير فتتوجه المباحث نحو المكان المذكور سالفًا فيجدوا جثة شاكر الجوهري ملقاة في صالة الفيلا الكبيرة التي تلي الباب الداخلي مباشرة والمقتول يخترق صدره سكين يده من العاج، ويبدو أنها شيء ليس بالمعتاد، الغريب أن البلاغ كان يتهم رأفت ولد القتيل بأنه من ارتكب هذه الجريمة.

والغريب أيضًا أن رأفت جاء منهارًا إثر ما حدث.

عاين المختصون مكان الحادث، وأُخذت البصمات وتم التحفظ على رأفت لحين ظهور النتائج.

وبدا أن البلاغ لم يكن كاذبًا، فقد وُجد أن البصمات على السكين مطابقة لبصمات المتهم والأدهى أنهم وجدوا بجانب جثة القتيل سيجارًا تحمل بصمات المتهم نفسه ومن نفس نوع علبة السجائر التي وجدوها داخل سيارته، كل هذه قرائن توحي بأن القاتل كان ساذجًا ونتيجة سذاجته تلك ترك خلفه من القرائن ما لن يستطيع إنكاره غض الطرف عنها.

إذن قُبض عليه بجريمة التفت حول أوداجه، لكن ما الدافع كي يفعل مثل هذا؟ ولماذا لم يهرب أو حتى يحاول الهرب؟ قُبض عليه بمنتهى اليسر في شقة والدته المتوفاة، فقد كانت مكانه المفضل للكثير من جلسات الأنس مع أصحابه .

حين قُبض عليه بدا متعجبًا مستنكرًا وحين أُخبر بالسبب بدا منهارًا مهدومًا فوق الأنقاض التي تعلو أنقاضه.

بدا لا يعلم كيف؟ ومتى؟ ومن؟ ربما لماذات كثيرات كفيلة بجعل هذا المصير هو المصير العادل، لكن إلى أي مدى كان الحدث كقرار مفاجئ أُتخذ بليل سحيق؟

أُخبِر بالاعترافات التي نقلها صبحي أحد رجال والده المالكين للكثير من الأسرار، الذي لم ينل فرصة القبض عليه لا لشيء إلا لأن أجله جاء أولًا، فكان أحق به.

لم تتردد على لسانه سوى عبارات: "مقتلتوش، إيه هيخليني أعمل كده؟،أنا عرفت زيي زيكم، وبعدين أنا من أول الليل مع أصحابي في الشقة، إمتى خرجت وعملت كده؟".

نظر إليه وكيل النيابة نظرة متفحصة أعقبها بـ: "بواب الفيلا اسمه إيه؟".

- "اسمه فتح الباب"

- "لو فتح الباب قال إنك ركنت العربية قدام الفيلا ودخلت قدامه ونادى عليك 3 مرات وأنت مردتش، وكنت مدروخ لدرجة جري عشان ياخد منك مفتاح العربية محستش بإنه بيكلمك من الأساس

هتقول إيه؟ وبصماتك، وبالحق سجايرك إيه يا رأفت؟ مش من النوع ده برضه؟".

- "أيوه بس في كتير بيشربوا السجاير اللي بشربها".

- "في كتير برضه من دول عندهم بصماتك؟ البصمات اللي عليها بصماتك، هتعترف أفضل ليك، هتنكر الجريمة لابساك لابساك، كل الأدلة ضدك، فريحنا وريح نفسك" .

- "لكن أنا مقتلتوش، مقتلتوش، أحلفلك بإيه ما عرفت إلا لما قبضوا عليَّ" .

- "والحاج سعيد برضه متعرفش عنه حاجة يااا رأفت؟."!

- "معرفوش، بس أكيد ده حد قتله".

وقف المحقق بهدوء يشبه آخر لحظات في خمود بركان أوشك على الثوران، ونظر إليه في صمتٍ لثوان قليلة، ثم ردد آخر عبارة مجزّئًا إياها: "مـعـ....رفوووش، بس أكيد ده حد قتله؟!!"، وأردف بصوت صاخب: "أنت هتهزر معايا يلاااا، رد على قد السؤال".

- "معرفوش ولا عمري سمعت عنه" .

- "نسمعك إحنا عنه، الحاج سعيد والد توفيق صاحبك الروح بالروح"، ثم ابتسم قائلًا: "اتخطف من المستشفى وجت مكالمات لابنه من ست مجهولة لما تتبعنا مكانها لقيناه فيلا المرحوم، أكملك القصة ولا عارفها؟".

حينها دق الباب ثم دخل رجل يبدو بعض الشعر الأسود غريبًا في رأسه قائلًا: "أنا نبيل مخيون محامي شاكر بيه، جاي أحضر التحقيق مع رأفت".

- "اتفضل يا أستاذ نبيل، وياريت تخليه يساعدنا عشان نقدر نساعده، الإنكار هيسوأ من حالته، كل الأدلة ضده ومفيش شيء هيفيده إلا إنه يحكي اللي حصل بالتفصيل".

- "طيب عن إذن حضرتك ممكن عشر دقايق أكلمه لوحده؟".

- "أكيد ممكن.. ليه لأ؟ اتفضل وياريت أرجع ألاقي حضرتك عقلته" .

وقام آخذًا قلمه الحبر الذي وضعه أمامه على المكتب وتبِعه كاتب التحقيق.

الجدير بالذكر أن ذلك الرجل لم يره من قبل، وأن شاكر الجوهري لم يكن على إيمان بالتعاقد مع محام خاص لأعماله، فإن جدّ أمر استلزم محاميًا كان بالنسبة لهذا الرجل هو استعمال مرّته لا غيرها، لكن وجهه كان مطمئنًا مما أزاح هذه التساؤلات عن رأس ابن المجني عليه والمتهم بالجناية التي لم نكن لنبالغ إن قلنا قد اكتملت أركانها واستوفت أدلتها دون مجادلة أو ارتياب للمحققين.

- "رأفت.. أنت زي ابني وأنا نفسي نخرج من الورطة دي، فاحكي لي على كل اللي حصل عشان أقدر استغل أي حاجة من خلالها أقدر أخرجك"، هكذا قال مخيون .

جلس الآخر على الكرسي المواجه له أمام المكتب قائلًا: "أنا مقتلتوش، أنا هتجنن، ومروحتش الفيلا إمبارح، إزاي فتح الزفت يشهد إنه شافني؟".

- "مين فتح الزفت اللي بتتكلم عنه ده؟".

- "ده بواب الفيلا.. هو راجل كبير وأهطل كده، بس إزاي يخترع حاجة زي كده؟".

- "طيب احكي لي كل اللي حصل من قبل الحادثة بيوم لحد ما قبضوا عليك" .

- "يوم عادي جدا، حتى الجامعة مروحتهاش، كنت سهران قبلها بيوم مع الشلة في الشقة ونمت لحد ليل تاني يوم اللي خدوني فيه ده، فجأة لقيت الباب بيرزع، بفتح الباب لقيت نفسي متكلبش وجاي على هنا" .

- "أمال بصماتك اللي على السكينة اللي اتقتل بيها والدك دي جت منين؟".

- "مش عارف.. مش عارف، أنا مقتلتوش" .

- "طيب اهدى وافتكر أي حاجة أي حاجة، محدش كلمك قبلها؟ حد هددك؟ مشاكل مع حد؟ أي حاجة".

- "بس إيه السبب اللي خلاك تفكر في كده بالذات؟".

- "عشان أنا عارف شغلي كويس، مرّ عليَّ مليون قضية وعارف اللي ممكن يحصل، ممكن بقى ترد عشان أيمن بيه زمانه جاي، خلينا نستغل الوقت قول لي يا رأفت".

- "في راجل افتكرت إنه كلمني هو كان معرفة قديمة ومجاش من وراه نفعان مرة".

- "مين الراجل ده؟ وقالك إيه؟".

- "الراجل ده كان مفهمني إنه ليه في الأسياد وتحضير الأرواح والعفاريت وكنت بروح ليه من مدة وغاب.. فجأة كلمني من موبايل معرفوش رديت عليه وشتمته".

- "مقلتش عنه ليه من وقتها؟".

- "افتكرت لما أنت قلت حد كلمك" .

- "اسمه إيه الراجل ده؟".

- "اسمه عكاشة".

- "عكاشة؟!! الاسم ده من يومين وهو مالي كل الجرايد متهم في قتل ست صاحبة لوكاندة واغتصبها وهرب، والبوليس بيدور عليه في كل مكان ومالوش أي أثر، على كل حال لما يرجع أيمن تقول اللي حصل ده؛ هيقلل من اليقين اللي بيتهمك لأن كل الأدلة معاهم ضدك.. لازم نوجه نظرهم لحد تاني لكن إوعى تقول إنك كنت تعرفه، تقول

بس مجرد واحد بالاسم ده رن عليك وطلب منك مساعدة وأنت شكيت فيه فلما رفضت هددك، عايزك تقول كده،

ولما يسألك عكاشة ده تعرفه منين عشان يطلبك ويفكر إنك تساعده، ترد بإنه جايز كان يعرف والدك وحاول يوصل ليه ولما مقدرش كلمك".

- "لكن أنا أول مرة أ."....

لم يستطع أن يُكمل العبارة فقد دخل أيمن السنهوري _وكيل النيابة_ هكذا كُتِب على قطعة خشبية أنيقة تعلو مكتبه، دخل بصُحبة عبارة ربما حتى سبقته هو .

- "خير، أقنعته يا متر عشان نقدر نساعده ولا لسه هنلف ورا بعض؟ وأنا والله بكره اللف والدوران لكن منكرش إني حريف قوي لما بتجبر على كده".

- "هو في حاجة جديدة مهمة جدًا رأفت عايز يقولها لك" .

- "آه طبعا يقول، كل اللي عنده عايزينه"، هكذا رد السنهوري وهو يطفئ سيجارة كان يحرقها كابسًا إياها في مطفأة السجائر وكأنه

وضع بها كُل مشاغله في الحياة فبات صافي الذهن ليسمع ذاك الجديد المهم، ثم نظر إليه فأجاب الآخر: "في واحد اسمه عكاشة كلمني ليلة الحادثة وطلب مني مساعدته وأنا ماليش بيه أي علاقة وما اتطمنتلوش فرفضت وقفلت معاه".

- "ليه مقلتليش المعلومة دي من بدري؟".

- "مجاش في بالي، ولسة عارف إن عكاشة ده متهم في جريمة قتل تانية ويمكن هو اللي عمل دي كمان".

- "وعكاشة ليك معاه معرفة عشان يكلمك؟ وليه هيقتل والدك؟".

- "أنا معرفوش، بس يمكن كان في معرفة مع أبويا".

- "ولو هنحط احتمال إنه هو اللي عمل كده.. جاب بصماتك على السكينة إزاي؟ وعرف نوع السجائر اللي بتشربها منين عشان يسيب واحدة منها جنب الجثة؟.. لما بتقول إنه ميعرفكش وبصماتك كمان عليها، شكلك مصمم تتعبنا وتتعب روحك، هو ده اللي عقلته يا متر؟".

- "يا أيمن بيه.. شاكر الجوهري مكانش عنده أولاد إلا رأفت وكان بالنسبة له كل حاجة وعمره ما حرمه من حاجة، ليه هيقتله؟ الموضوع فيه لغز كبير وأتمنى يتحل في أقرب وقت".

- "إن شاء الله، يُحبس المتهم خمس عشرة يومًا على ذمة التحقيق ويُراعى التجديد" .

كانت هذه آخر عبارة قيلت في هذا المجلس.

في المستشفى ربما كان الوضع على أجمل ما يرام.. أنور باتت حالته على وشك التعافي الكامل، ونها إلى جانبه فيبدو أنه حدث الكثير أثناء تركنا لهذا المستشفى لبعض الزمن، ونوره باتت تملك وضعية الهجوم الكوميدي على صديقتها، صارت في موضع القصاص منها، ألم تكن هي من قبل دائمة التندر عليها وعلى هيامها بتوفيق ، فها هي الآن صارت سيناريو في ملعب نها وكيف لا وقد علِمت بقصة مخاطرتها بعمرها في سبيله حين رجت إحدى الممرضات فيما لم يكن هناك فيه رجاء، كانت حينها أشبه بشاعرٍ يقول :

"دمائي في العروق تجول فيه.... فحسبي من حياتي أن تقيه

ولو أنفاس صدري تحتويه.... فتلك سعادتي فالروح فيه

فإن ذهبت حياتي فهو فرح.... كفاني أنني أحيا بفيِّهِ

فذكر من حبيبي هو الحياة.... فهل معنى لعمرٍ ليس فيه؟"

في مكان صغير يشبه الشاليه مطلًا على النيل، احتُجِز ذلك الشيخ الكبير الحاج سعيد، ووجد شفقة في كل كيانه نحو امرأة يبدو أن المرض قد فعل أفاعيله بها، إلا أن هذا لم يشفع لها عند من عُدِموا من الضمير أقلّه ومن الإنسانية أدنى معانيها، امرأة لا تقوى على القيام من موضعها على السرير وتُحتجز دون جريرة فلا دواء ولا معاملة طيبة ولكن تظل بارقة الأمل هي الملاذ لكل من لا ملاذ له، فالأمل يُحيي العزائم ويضخ دماء اليقين من إشراق الصباح في الروح فلا حياة بلا أمل ولا انهيار إلا بفقدان الأمل، أولى أولويات خالد الآن هي العثور على والد صديقيه ثم إلقاء القبض على عكاشة الذي اختفى كقطعة خشبية وسط غابة مترامية الأطراف فلا لون ولا رائحة.

عاد إلى المستشفى بصحبة توفيق، إلى ذلك الرجل الذي حال أنور دون قتله، وكاد ذلك أن يكلفه حياته، ووجدوا أن حمايته تكمن في إعلان قتله أثناء محاولته الهروب، ربما هذا يغض الطرف عنه، المهم أنهما رأيا فيه بارقة كشف مكان والد توفيق، إنه قد أدلى بالكثير وتكلم بما يرى أنه قد يصليه إلى لهب انتقام الآخرين، لكنه أخذ وعدًا بحمايته ووجد في فعله هذا مذاقًا لم يذق طعمه منذ اُستخدم كأداة للظلم وفعل ما يجافي الأخلاق فاستزاد بأن أخبرهما بمكان احتجاز الحاج سعيد ووالدة نها التي كانت على مقربة من مفارقة الحياة، وفي الحال كانت الاستجابة بأن توجه خالد ولم ينتظر مجيء معاونيه فأخبر بمكان ذهابه على أن يلحقوا به، حاول توفيق إقناعه بأن يصحبه إلا أنه رفض تعريضه للخطر، فلم يثن ذلك الأخير فقد تبعه بشغفٍ دون موافقته، انطلق خالد نحو ذلك الشاليه يحمِلُ سلاحه دون أي اهتمام إلا إنقاذ من قد ظُلِموا وحُرِموا من مجرد اصطحاب أبنائهم في دور العلاج أمام غرف العمليات، وصل فألقى سيارته البيجوه على قارعة الطريق وتوجه صوب الشاليه وكان أمامه رجُلًا يُشبِه من نُزِعت الرحمة من قلوبهم

لتستبدل بلحمٍ وعضلات على أجسادهم وغضبا على أعينهم، وكأنه يحرس مكانًا اُحتُجِز به رئيس عصابة مافيا يبحث عنه رجاله، تسلل خالد نحوه ثم صوب مسدسه نحو ساقه إلا أن الآخر لم يستسلم للطلقة التي أصابته فصوب سلاحه متعدد الطلقات نحو خالد إلا أنه استطاع أن يحتمي بإحدى عواميد البناء، ومن ثم فاجأه برصاصة اخترقت أسفل كتفه الأيسر في موضع يكفي لقتله، وأثناء هذا وصلت قوة الشرطة لتجد ما حدث ويبدو أن المكان كان سريًا لدرجة أنه لم يكن يحرسه أحد سوى ذلك الذي قُضي أجله، وهناك في الداخل كان الحاج سعيد مرتعدًا لما يحدث في الخارج لا خشية موت أو قتل ولكن حين سمِع تبادل النيران

خشى أن يكون أحد ولديه قد علم بمكانه وربما يفقد من لم يره طوال حياته إلا مرتين أو الآخر الذي رأى فيه ابنًا وصاحبًا وأملًا في مستقبل لم تعد له شمس إلا بوجوده في حياته.

فُتِح الباب فخرج شوق ليس رجل غاب ولده عن ناظريه، بل شوق حُمِل بين كتفي إنسان حتى وصل إلى أعلى رأسه فشمل كل خلاياه،

احتضن توفيق بكل ما ملك من قوة وهو على حالة ربما لا تتناسب معها كلِمة قوة لكنها أتته كي تعينه على تفريغ شوق ربما أيامه فاقت تأثير السنين.

أحيانًا يكون التطرق لموضوع في حد ذاته بعدًا عن آخر، وأحيانًا أخرى يكون خوفًا من الخوض في غمار موضوع بدأناه ولكنه قد يكون تجلية وتبيانًا لشيء لم يكن ليتضح إلا بالتطرق إلى ذلك الذي سنتحدث بالقليل عن خباياه ومستتراته.

إن الحديث عن القرين لأمر خاض فيه الكثيرون منهم المدققون وآخرون يتحدثون حديث من لا يعلم فيما لا يدري، أولًا سؤال يجب طرحه: هل هناك ما يُعرف بالقرين؟

الجواب هو: نعم، فقد جاء في الحديث الشريف عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما منكم من أحد إلا وقد وُكل به قريبه من الجن وقرينه من الملائكة"، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: "وإياي، ولكن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير"، صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلكل إنسان

قرينان، من الجن واحد، ومن الملائكة واحد، ولكل منهما علمه بالإنسان، وقد يظهر الجن للإنسان في صور متعددة، وقد يظهر الملك فكل موكل بأمر الخالق، حتى أن القرين قد يستولي على صاحبه فيقوده إلى الهاوية وربما يعين الخالق صاحبه عليه فيكونان قريني خير، لن نتحدث في هذا كثيرًا، ولكن حدث في بداية الرواية أمر غريب ربما جاء هذا أيضًا حاله .

توفيق حين ركِب الأتوبيس ظهر له شيخ وقور لحيته بيضاء ذو وجه

منير لكن السوء الوحيد هو أنه كان في شكل ذلك المدعو عكاشة، لكنه طمأن من روعه، وهدأ من حاله، ثم اختفى عن ناظريه، فالتفت إلى جانبه، فلم يجده، فظن أنه قد نزل دون أن يشعر به، الجدير بالذكر أن ذلك الشيخ قد عاوده اليوم، عقب إيجاده لوالده فأخبره بمكان اختباء ذلك الذي لا يفقه سوى أذية الناس وتسخير نفسه وغيره في تخريب الأُسر وهدر المجتمعات.

وكان غريبًا أن يكون ذلك المكان في مكان قريب من وكره القديم.

أخبر توفيق خالد على الفور، فسأله عمن أعلمه بهذا، فأجابه بأنه عِلِم من رجل شيخ لم يره طوال حياته سوى مرتين.

لم يطل معه في الحديث فما الذي سيخسره إن كان خبرًا غير صحيح، لكن الظفر بهذا الهارب سيكون أكبر فوز، فاستنفرت الشرطة إلى ذلك المكان لتجد عكاشة يمارس ما اعتاد عليه وكأن شيئًا لم يحدث.

حاول التظاهر بالجهل عن كل ما نُسب إليه وحاول أناس ممن سلب عقولهم الزود عنه، لكنهم لم يفلحوا، وصار هذا الساحر في تكبيل وتصفيد وإن كان الوصف الأكثر دقة إن كثيرًا من الناس هم من صاروا في حرية ومأمن من هذا العكاشة الذي سيطر على مجريات عقولهم، وحين واجهوه بحلاوة صبي الست نعمة وتوفيق ورأفت الذي شاركه كثيرًا في الكثير من الجرائم لم يستطع إلا البوح بمصائب لم يكن الإنسان قادرًا أن يفعلها.

الإجابة التي ستكون بداية لفك ألغاز أحدها في حد ذاته لغز مؤلم أن قاتل شاكر الجوهري هو رأفت شاكر الجوهري ولكن دون علم القاتل، فما كان يستخدمه عكاشة في سبيل رأفت وماله جاء وقته ليستخدمه في

اتجاهه المضاد، فقد سلبه عكاشة تحكمه في نفسه، جعله يذهب إلى الفيلا دون أن يعلم أنه ذاهب نحوها، وكأنه شخص آخر وهذا هو المفسر لشهادة البواب الذي ناداه كثيرًا فلم يستمع لنداء واحد جعله شبه روبوت لا يرى إلا بقرين سخره ذلك الساحر الضال المضل حتى غرس سكينته في صدر من ربما لم تكن نهايته خارجة عن ذلك الإطار لكن حدثت بيد أُستبعد أن تكون هي الفاعلة على حد رؤيته فهو لم يرَ سوى ابنه قادمًا نحوه .

والمميتة هي المفاجأة الكبرى فقاتل والدة توفيق وأخته في ليلة ذهابه لخطبة نوره، هو من عاد ليجد حياته قد أظلمت ظلامًا أوحى له بأنه لا قمر فيه.

عمار يحيى

❁ ❁ ❁